جامعة الجزائر 03

كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية

محاضرات في مقياس

الحضارة العربية الإسلامية

السنة الأولى، جذع مشترك

الأستاذة: يطو رزيقة

2020/2019

قائمة المحتويات:

مقدمة

المحور الأول: مدخل مفاهيمي حول الحضارة

المحور الثاني: نظريات نشوء الحضارة

المحور الثالث: نظرية الحضارة عند مالك بن نبي

المحور الرابع: لمحة تاريخية حول تطور الحضارة العربية الإسلامية

المحور الخامس: أسس الحضارة العربية الإسلامية

المحور السادس: خصائص و مميزات الحضارة العربية الإسلامية

المحور السابع: مظاهر الحضارة العربية الإسلامية

المحور الثامن: أسباب انهيار الحضارات

المحور التاسع: عوامل انهيار الحضارة العربية الإسلامية

المحور العاشر: شروط عودة الحضارة العربية الإسلامية

خاتمة

مقدمـــــــــــــة

رغم تعدد و تنوع الحضارات الشرقية و الغربية منها، تعد الحضارة العربية الإسلامية من أبرز و أهم هذه الحضارات على الإطلاق و هذا لاعتبارات عديدة فما تميزت به هذه الحضارة من خصائص و مميزات ابتداء بعنايتها بالجانب الروحي و توحيدها لله و إدراكها لحقيقة الإنسان و لحقيقة دوره في هذه الحياة و نظرتها الجلية لهذه الجوانب ما جعلها تقوم على أسس متينة واضحة، إضافة إلى اتجاهها الإنساني العالمي الذي يعد أهم سمات الدين بتوجهه لكل الناس أينما وجدوا مبادئه السامية التي ترسخ أسمى معاني الإنسانية و حقوق الإنسان و الحريات و العدالة و المساواة و التسامح و التكافل .... وغيرها من الخصائص التي لا يمكن حصرها أو أعدها، كما تميزت هذه الحضارة بعقيدتها ومنهجها وقيمها وأهدافها في الحياة بالإضافة إلى منجزاتها العلمية والعملية العظيمة في مختلف المجالات.

وبذلك تعد الحضارة العربية الإسلامية من أرقى وأعظم الحضارات العالمية، ولذلك من الضروري التعرف عليها وعلى خصائصها ومنجزاتها خاصة في ظل ما يسود العالم اليوم أين أصبحت وسائل التأثير والهيمنة على الشعوب والأمم فكرية وثقافية وعلمية وحضارية بصفة عامة فالتصدي لهده التحديات اليوم يتطلب معرفة نقاط قوة حضارتنا الإسلامية، و التمسك بها و الأخذ بها للعودة بها إلى أرقى أيامها.

المحور الأول: مدخل مفاهيمي حول الحضارة

تحديد مفهوم الحضارة

يثير استخدام مصطلح الحضارة عموما إشكالية، فنظرا لتعدد المنطلقات الفكرية والمرجعيات لمختلف المفكرين و الفلاسفة و الباحثين نجد أن هناك خلط في فهم وتحديد واستخدام مصطلح الحضارة، و كذا وجود العديد من المفاهيم التي تستخدم بنفس معنى مصطلح الحضارة: كالثقافة، المدنية، ..... ومنه لا بد من تحديد مفهوم الحضارة بدقة.

أولا: المعنى اللغوي للحضارة:

❖ **في اللغة العربية:**

- ✓ الحضارة بكسر الحاء أو فتحها يعني الإقامة في الحضر أي في المدينة عكس البداوة والتي تعني الإقامة في البادية[1].
- ✓ والحضارة في اللغة أيضا مشتقة من فعل حضر، والحضور ضد المغيب والغيبة، (عكس فعل غاب)، ويقال: حضر يحضر حضورا وحضارة، وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أي بمشهد منه.[2]
- ✓ والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف (عكس) البادي، فالحاضر هو المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم في البادية، والحضارة الاستقرار في مساكن دائمة.

فالحضر والحضرة والحاضرة والحضارة هي المدن والقرى وسميت كذلك لأن أهلها حضروا الأمصار (البلدان) ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار واستقرار.[3]

---

[1] – المعجم الوسيط، **معجم اللغة العربية**، ص180.

[2] – لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ج4، ص 196.

[3] – محمد محاسنة، **الحضارة الإسلامية: مدخل معمق**، ط1، الأردن: مركز يزيد للنشر، 2005، ص 15.

فبصفة عامة الحضارة في اللغة هي سكن الحضر (الإقامة في الحضر)، والتي تعني وتدل على إقامة مجموعة من الناس في الحضر وأماكن العمران أي في المدن أين ينظمون حياتهم وعلاقاتهم بشكل جيد، وتقابلها كلمة البداوة والتي تعني سكن البادية والريف والصحراء، والتي تدل على حياة أهل هذه الأماكن المتنقلون والدين يسكنون الخيام ويعيشون على رعي الأغنام، والتنقل و الترحال المستمر من مكان إلى الأخر بحثا عن الماء والكلأ، وبالتالي لا يحتاجون إلى ترتيب كبير لحياتهم ومعيشتهم وعلاقاتهم فيما بينهم.[1]

فالحضارة تميزها حياة الاستقرار وتنظيم المعيشة والعلاقات الاجتماعية في المدن، لذلك يوصف أهل المدن أو الحضر بأنهم أهل القرار والاستقرار، والبداوة هي حياة التنقل و الترحال المستمر في الوادي بدون التنظيم والاستقرار وإقامة العلاقات.

❖ **في اللغة الأجنبية:**

لفظ الحضارة Civilisation في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية مشتق من اللغة اللاتينية وذلك من ثلاث كلمات هي[2]:

Civitas و التي تعني المدينة.

Civis و التي تعني ساكن المدينة.

ومن civilis والتي تعني مدني أو ساكن المدينة، وكل هذه المشتقات تدل على المدينة وما يرتبط بها عكس البادية أو الريف وما يتعلق بهما.

[1] – محمد مجدان، **مكانة الحضارة الإسلامية عالميا – دراسة مقارنة مستقبلية** –، الجزائر ، دار المواهب للنشر و التوزيع، 2015، ص13.

[2] – المرجع نفسه، ص14.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي لمفهوم الحضارة:

فيما يتعلق بالمعنى الاصطلاحي أو التحديد العلمي لمفهوم الحضارة فنجد هناك العديد من التعاريف للباحثين والمفكرين التي تحاول إبراز مضمون هذا المصطلح ومنها:

- يعرف المفكر عبد الرحمان ابن خلدون الحضارة بأنها: "نمط من الحياة المستقرة تزدهر في ظلها فنون العيش والعلوم والصناعات وإدارة شؤون الحكم والحياة وتوطيد أسباب الرفاهية والدعة"[1].

واعتبر ابن خلدون أن البداوة أصل الحضارة، البدو أقدم من الحضر وأن الحضارة غاية البداوة ونهاية العمران[2].

رأي ابن خلدون في الحضارة:

أطلق ابن خلدون على الحضارة اسم – دورة العمران –، فكما سبق فهو يعتبر البداوة أصل العمران، والحضارة غاية العمران تتصل بالتفنن في الترف و استجادة أحواله...، فالبداوة هي المرحلة الأولى حياة كل جماعة إنسانية (والبدو برأيه أقرب إلى الخير من أهل الحضر)، و الحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ الحياة من غير مزيد، والتطور الحضاري والاجتماعي عند ابن خلدون يبدأ عند أهل البادية الرعاة والفلاحين وهو أهل الزراعة [3].

ويرى أن الحضارة في تطورها تمر بأدوار أو مراحل، فطور الدولة من أولها بداوة، ثم إذا حصل الملك تبعه الترف واتساع الأحوال، والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع، ومهما بلغت الحضارة من التطور والرقي فإنها تعود للهبوط والتلاشي.

---

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 16.

[2]– عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، طرابلس، الجامعة المفتوحة، 1995، ص 28

3 – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص 18

- ويعرفها أبو الأعلى المودودي: "بأنها نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وأراء وأعمال في حياتهم الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية".[1]
- أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فيعرفها بأنها "ثمرات الجهد الذي يبدله الإنسان لاستقلال المكونات التي من حوله في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني وبث أسباب الخير والسعادة فيه"[2]، فالبوطي يعتبر أن الحضارة ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة.

و الإنسان هو العنصر الأول و مركز الثقل فيه هو العقل و التفكير و الوجدان، و الحياة هي البعد الزمني و يعبر عنها أحيانا بالحياة و أحيانا بالعمر، أما الكون فيقصد به المكونات المتنوعة الخاضعة لتسخير الإنسان.

- في حين يعرفها Wool Durent (وول ديورانت) بأنها "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجية الثقافي، ويرى أنها تتألف من أربعة عناصر هي الموارد الاقتصادية النظم السياسية، التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وتبدأ الحضارة حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إدا أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء.[3]

كما يعرفها الدكتور حسين مؤنس بأنها "ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، و سواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية.

---

[1] – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص16.

[2] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص16.

[3] – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 16-17.

و قد استعمل لفظ الحضارة لأول مرة استعمالا علميا في القرن التاسع عشر عندما ذكرت لفظة حضارة في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1825 ومعناها عكس توحش (مثلما ذهب إليه مالك بن نبي)، الذي يرى أن أول استعمال وتفسير الواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معينة هي الحضارة كان في القرن التاسع عشر.

ويعرفها تايلور taylor بكونها "ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعارف، العقيدة، الفن، والقيم والأخلاق والقانون والتقاليد وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"[1].

و بالتالي فالحضارة هي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر، وهي الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم والفنون الجميلة والصنائع المناسبة لهذه الحالة.

و كتعريف شامل يمكن القول أنها تمثل: "جملة مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة... كأن نقول الحضارة الصينية، الحضارة الفرعونية..... فلكل حضارة نطاقها ولغاتها و خصائصها...".

من خلال هذه التعاريف وغيرها فمصطلح الحضارة يدل على التقدم والرقي الإنساني في مختلف الميادين كاللغة والأدب والفنون الجميلة والصناعة والتجارة وغير ذلك من مظاهر النشاط الإنساني وييسر سبيل إلى الحياة إنسانية كريمة.[2]

أما استخدامها المعاصر فيركز على ما تحمله من تطور علمي وتكنولوجي وما يفرزه هذا التقدم في الميادين الحياتية الأخرى.

---

[1]– إسماعيل سامعي، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 15.

[2] – **المرجع نفسه**، ص 15.

ثـــــــالثا: الفرق بين الحضارة والمدنية والثقافة:

كثير ما يختلط مفهوم الحضارة بمفهومي المدنية والثقافة وذلك بسبب تداخل مفاهيمها واتصال أحدها بالأخرى بسبب ميدانها الموحد وهو الفرد والمجتمع وغايتها الواحدة وهي سعادة المجتمع.

معنى المدنية:

مصطلح المدنية مشتق من المدينة ففي اللغة: مدن بالمكان: أقام به، جمعها مدائن ومدن ويقال مدن المدائن كما يقال مصر الأمصار.

والمدينة تدل على التطور والرقي، ففيها تبدو مظاهر التقدم العلمي والفني والفكري والأدبي والتقني وغيرها[1]، وتجتمع فيها الكفاءات والثروات التي يتبعها الريف، وعلى هذا الأساس فالحضارة ترادف المدينة لأنها بالأساس مشتقة من حياة المدينة والحضارة مشتقة من الحضر(المدينة).

فالمدني هو المنسوب للمدينة أو إلى الناس الدين يعشون في المدينة، كما استعمل ابن خلدون صيغة التمدن بمعنى الحضارة أو التحضر. وقلنا سابقا أن civilisation مشتقة بالأساس من المدينة civitas أو من ساكني لمدينة civis وجميعها لاتينية.

ذلك أن الحضارة أو المدينة هي الحياة الراقية التي ظن سكان المدينة أنها ممكنة فقط في المدينة[2].

---

[1] – عبد الحسين مهدي الرحيم، **المرجع سابق الذكر**، ص 30.

2 – **المرجع نفسه**، ص ص 31 ، 32.

معنى الثقافة:

يرجع مصطلح الثقافة إلى الأصل اللاتيني Cultura و التي تعني الفلاحة والتهذيب أو الزارعة والتحصيل العلمي[1]، أي إصلاح الشيء وتهذيبه وإعداده للاستخدام والاستعمال الجيد والأحسن.

وقد تطور هذا المفهوم ليصبح يعني فن التهذيب العقل والسلوك البشري وتحسينه[2] .

أما اصطلاحا فتعرف الثقافة (حسب تايلور Taylor) بأنها "ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات، الفن والعرف، التقاليد، الأخلاق، القانون وجميع القدرات والممارسات التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفة عضوا في مجتمع، أي أنها كل التراث الاجتماعي المادي وغير المادي الذي يتلقاه الفرد في مجتمعه"[3].

أي أنه أصبح يطلق على مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع معين.

و بالتالي فالثقافة تعتبر جزءا من الحضارة، بل هي جزء و جانب مهم من الحضارة فهي تعبر عن ذلك الجانب الروحي و الفكري و المعنوي للحضارة و الذي ينعكس في الجانب المادي أو ما يسمى منجزات الحضارة.

رابعا: شروط الحضارة

إن ظهور الحضارة وتطورها يرتبط بمدى توفر مجموعة من العوامل و الشروط تتمثل خاصة في[4] :

---

[1]– عبد الحسين مهدي الرحيم، **المرجع سابق الذكر**، ص31.

[2] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 15

[3] – عبد الحسين مهدي الرحيم، **المرجع سابق الذكر**، ص ص31،32.

[4] – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص 18 ، 19 ، 20.

- الشروط الجغرافية: إذ أن الأحوال الإقليمية و المناخية كالبرد القارص، الحر الشديد، الموقع الجغرافي، التضاريس... لها تأثير على نشوء الحضارة، فهي إما أن تبعث النشاط الفكري والفني والعلمي إن كانت مناسبة أو تؤدي إلى الخمول والجمود وتضعف الإنتاج إن لم تكن مناسبة والموقع الجغرافي له دور أيضا، فالبتراء وتدمر وبعض المدن إيطاليا كان تطورا حضارتها أو تدهورها عائد لموقعها عن طريق التجارة العالمية أو فقدنها لهذا العامل.
- الشروط الاقتصادية: فالأمة (الشعب) التي تبقى في طور التنقل يصعب عليها الوصول إلى درجة راقية من الحضارة، لأن البدوي المتنقل يشغل وقته و جهده في الصيد و الغزو، و لا يجد الوقت الكافي للإنتاج، و حتى يتفرغ لذلك لا بد أن يتمكن من تأمين الغذاء المنتظم كي يجد الوقت للبحث عن العلم و الأدب و الترف و الرخاء و لما كانت الزراعة أولى مظاهر الحضارة، فإن الإنسان يبدأ بحرث الأرض و زراعتها ليؤمن مستقبله ثم يجد الوقت بعد ذلك لكي يتمدن و يبني بيته و مدرسته و يخترع الأدوات اللازمة للإنتاج و التوجه بعد ذلك الأمور الصناعة والتجارة.
- الشروط السياسية: وهو أمر ضروري فالجماعة التي تريد الوصول إلى درجة من الحضارة الرقي يجب أن يتوفر لها نظام سياسي يحميها لكي تعمل بأمان واطمئنان.
- النظام الاجتماعي والديني: لا بد من وجود نظم أخلاقية توحد الناس بإعطائها قواعد النظام و التوجيه في السلوك و وجود اعتقاد أو إيمان يرفع الخلق ويعطي الحياة أهمية خاصة.
- النظام الفكري والتعليمي: يتضمن وجود لغة كوسيلة للتبادل الفكري وتربية و وسيلة لنقل حضارتها وتراثها الإيصال من الآباء إلى الأبناء.

ولا تنحصر الحضارة بقوم أو جماعة دون الأخرى، يمكن أن تظهر في مجتمع أو في أي جماعة مهما اختلفت ألوانها، أشكالها، فقرها أو غناها إذا توافرت لها الشروط المناسبة.

خـامسـا: حضارة عربية أو حضارة إسلامية

يختلف الباحثون والعلماء والدارسون في تسمية حضارتنا بالحضارة العربية أم الحضارة الإسلامية، أم الحضارة العربية الإسلامية، وتبعا لهدا الاختلاف وجدت ثلاث اتجاهات حول هذه التسميات وهي[1]:

- ✓ **الاتجاه الأول:** وهو الذي يسميها الحضارة العربية على أساس العنصر العربي و اللغة العربية كمكون أساسي لها، ومن هؤلاء جوستاف لويون في كتابه "حضارة العرب"، وزغريد هونكة صاحب كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب". فالعرب كان لهم دور ريادي في قيادة الدولة الإسلامية و الشعوب التي حكمها العرب اتحدت بفضل اللغة العربية والدين الإسلامي.
- ✓ **الاتجاه الثاني** : وهو الذي يرى بأنها حضارة إسلامية، و من القائلين بها جب مؤلف كتاب "حضارة الإسلام"، و أدم ميتز مؤلف كتاب "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري"، و فون خنياوم مؤلف كتاب "حضارة الإسلام"، و يرى أصحاب هذا الاتجاه أن وصف هذه الحضارة بالإسلامية هو الوصف الأرجح و المناسب على اعتبار أن الرابط الموحد لشعوب الدولة الإسلامية في ثلاث قارات أسيا و إفريقيا و أوروبا و الانقسام السياسي لم يؤثر على المواطن التي كانت

[1] – إسماعيل سامعي، **المرجع السابق الذكر**، ص 23 ، 27.

البلاد الإسلامية كلها وطنه، (و لا يعني هذا أن أصحاب الديانات الأخرى لم يسمو في بناء هذه الحضارة بل بالعكس).

ويفضل بعض الباحثين تسمية (الإسلامية) على اعتبار أن القرآن و الإسلام بأحكامه وإرشاده وقيمه وهداه ليس للعرب وحدهم، فالإسلام يعتبر الأصل و الأساس لهذه الحضارة في جميع المجالات وبدونه لا معنى لهذه الحضارة أصلا، وهو رسالة لكل الناس ودعوته دعوة عامة شاملة عالمية كونية، بل إن علماء الإسلام لم يكونوا جميعا من العرب.

- ✓ **الاتجاه الثالث:** أو الاتجاه الوسطي الذي حاول التوسط بن الاتجاهين الأول والثاني والجمع بين التسميتين العربية و الإسلامية منهم مصطفى الرافعي الذي سمى كتابه "حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة"، فالإسلام هو الكل العام، ومهما اختلفت التسميات وتعددت الآراء حول مستوى هذه الحضارة فإنها تبقى متميزة في عالم سماه الغربيون "العصور الوسطى" كما تبقى نبراسا يهدي الجميع ويرشدهم إلى الطريق المستقيم و طريق التمكين في الأرض.

المحور الثاني: نظريات نشوء الحضارات

تتعدد الآراء والنظريات حول كيفية نشوء الحضارات و العوامل المؤدية لظهورها ما بين المفكرين الإسلاميين والغربيين، هذه النظريات تبين طبيعة مولد ونشوء الحضارات، ومنها الحضارة العربية الإسلامية وهي كالتالي:

أ-نظرية البيئة[1]:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الحضارة البشرية ظهرت بعد زوال الدور أو العصر الجليدي الرابع، وهي الآن في الدور ما بعد الجليدي.

هذه النظرية مفادها أن الأحوال البيئية هي التي تؤدي لنشوء الحضارات كالأحوال الإقليمية من ارتفاع أو انخفاض لدرجة الحرارة، الأمطار، الجفاف، نوعية التربية وصلاحيتها أو عدم صلاحيتها، الموقع الجغرافي... تمثل الشروط الأساسية لنمو الحضارة وازدهارها أو إعاقتها وانحطاطها.

ومن ضرورات نمو الحضارة وازدهارها أيضا الشروط الاقتصادية التي تسمح بالانتقال من البدائية التي تقوم على التنقل والصيد لتوفير الغذاء والمعيشة إلى المدنية التي تتطلب تأمين الغذاء الذي يعتبر شرط أساسي للحصول على الكماليات التي تتضمنها الحضارة من علم وأدب وفن ورخاء..، وهذا يعني تعلم الإنسان الزراعة والاستقرار (ببناء المسكن، المعبد، المدرسة،.. اختراع الأدوات اللازمة للإنتاج، يثقف نفسه وينقل تراثه الفكري والأخلاقي...، تم تنشأ الصناعة والتجارة وخاصة بالمدن[2].

تعتبر هذه النظرية من أقدم النظريات، حيث تبناها اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تأثر **ابن خلدون** بهذه النظرية، و بنى كثيرا من الأحكام عليها ومنها أثر البيئة

[1] – أرنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1، ص93.

[2]– عبد الحسين مهدي الرحيم، **المرجع السابق الذكر**، ص11.

على الصفات البيولوجية والدين والأخلاق والعقل، وقام بتفضيل المناخ المعتدل لاعتدال آثاره على الإنسان.

إذن فالشروط الجغرافية والاقتصادية هي مقدمات ضرورية للحضارة، ولكنها لا تولدها بالضرورة، وذلك لوجود عناصر أخرى هامة وأساسية لقيام الحضارة سياسية وأخلاقية ونفسية، تربوية...وغيرها.

ومن جهة أخرى فالعلاقة بين البيئة والحضارة ليسن علاقة ثابتة ولا متماثلة، فالتأثير يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر.

2-نظرية الجنس أو العرق:

يعود ظهور هذه النظرية إلى بداية القرن التاسع عشر في أوروبا، ويركز أصحاب هذه النظرية على اللون والجنس والعرق، ويرون أن التفوق البشري مرتبط به، ويجعلون من السلالة النوردية ذات البشرة البيضاء على منصة الشرف[1] والتفوق الحضاري (الجنس أو العرق هو مجموعة الصفات الموروثة التي تميز جماعة معينة من البشر)، فحسبهم الجنس الآري هو من أنتج منجزات اليونان العلمية والسياسية الرومانية وإليه يرجع الفضل في التقدم العلمي على مدى العصور.

عرفت هذه النظرية رواجا كبيرا بعد أن حقق الأوروبيون الثورة الصناعية وظهور حركة الاستعمار، ووجد فيها العنصريون في ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية سبيلا لتحقيق أهدافهم ومطامعهم.

ولكن هذه النظرية في الوقت الحاضر لم تعد تلق التأييد والقبول بعد أن تبين أن الجنس البشري هو حالة واحدة من التكوين البيولوجي وأن الحضارة لم تكن أبدا وقفا على جنس أو عرق دون الآخر، بل يمكن أن تظهر في أي عرق وفي أي مكان أو قارة (ليس بأوروبا

[1]- عبد الحسين مهدي الرحيم، **المرجع السابق الذكر**، ص13.

فقط)، فالحضارات التي عرفها التاريخ على مر العصور ظهرت في مناطق متعددة من العالم في أماكن متفرقة منه كمصر، العراق، سوريا، الصين، الهند، اليونان، الرومان،... وغيرها من مدن العالم.

بالتالي فالعرق ليس مسؤولا عن تكوين الحضارة، وإنما الحضارة هي التي تكون الشعب وتوجد نموذجا من البشر وتسيطر عليه وتتجلى مظاهرها فيه، ولو في مكان أو بلد آخر.

3-نظرية التحدي والاستجابة:

ترجع هذه النظرية إلى المؤرخ الإنجليزي **أرنولد توينبي Arnauld Twemby** وشرحها في كتابه المعروف "دراسة في تاريخ الحضارة"، وقد انطلق فيها من النظريتين السابقتين في بحثه عن أسباب نشوء الحضارة وتدرج الإنسان من البدائية نحو المدنية والحضارة، هل ترجع لصفات خاصة وذاتية أم خصائص بيئية أم بتفاعل الطرفين؟

وقد قال **تويمبي** أن قضية ظهور الحضارة هي قضية نفسية لا ترجع لمواهب بيولوجية ولا بيئية جغرافية، وإنما هي ردود فعل للتحدي في بعض الأحوال الصعبة التي تدفعه إلى بذل جهود أكثر[1].

وفي هذا الصدد يقول أن الصحراء العربية في آسيا أو الإفريقية اللتين كانتا قبل فجر الحضارة تسودها أحوال مناخية ممطرة وكثرة الأعشاب والأحراش والنباتات، وعندما تغيرت هذه الأحوال المناخية بسبب الجفاف تعرض الإنسان في هذه المناطق إلى تحد كانت استجابته لهذا التحد مختلفة فمنهم من بقي مقيما في مكانه ولم يبدل عادتهم وأصبحوا بدوا رحلا، ومنهم من اتجه نحو الشمال إلى بلاد وادي الرافدين، بالنسبة لسكان صحراء الجزيرة العربية، وإلى واد النيل بالنسبة لسكان الصحراء الإفريقية، وعملوا على خدمة الأرض وإعدادها للزراعة وبذلك ظهرت الحضارة السومرية في وادي الرافدين والحضارة الفرعونية في

[1]- أرنولد تويمبي، **المرجع سابق الذكر**، ص101.

وادي النيل، وبنفس الطريقة يفسر نشوء الحضارة الصينية والإيجية وكل الحضارات التي تطورت من البدائية، أما الحضارات التي نشأت بتأثير حضارات أخرى فقد كانت بأسباب بشرية وليس جغرافية[1].

إذن فهذه النظرية تقوم على أن الأحوال الصعبة المعاكسة هي التي تنتج الحضارة، وليس الأحوال المواتية والملائمة على الدور الأساسي للإنسان في حالة التغيير وليس طبيعة التحدي.

4-النظرية المادية[2]:

ترى هذه النظرية أن الوجود هو مادة متطورة تطورا ذاتيا، وبما أن المجتمع هو جزء من هذا الوجود فهو يتطور بشكل حتمي وبصورة تصاعدية من الحالة الأولى إلى الحالة الأفضل.

وتتمثل شروط الحياة المادية بالوسط الجغرافي والكثافة السكانية وأسلوب الإنتاج الذي له الدور الأساسي في تكوين المجتمع.

حسب النظرية يتكون أسلوب الإنتاج من القوى المنتجة (العمال)، أدوات الإنتاج وعلاقات الإنتاج التي تظهر بين الناس أثناء سير الإنتاج.

تقول النظرية أن التغير يبدأ في أدوات الإنتاج، وأن العلاقات بين الناس تتغير تبعا لهذا التغير وعليه فالمجتمع يتغير قياسا لهذا التغير، وعليه فالبشرية عرفت خمسة أنواع من المجتمعات أو الحضارات هي: المشاعية، البدائية، الرق، الإقطاع، الرأسمالية، والإشتراكية، حسب أنواع الإنتاج التي كانت سائدة في كل مرحلة.

انتقدت هذه النظرية من عدة جوانب:

---

[1]- عبد الحسين مهدي عبد الرحيم، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 19-20.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 21-23.

أولها: وجود خالق للمادة، فهي ليست أصل الفكر في المجتمع كما تقول به النظرية.

و**ثانيا:** نفي دور أسلوب الإنتاج في تغيير المجتمع ونقله من حالة حضارية إلى أخرى، ويرون أن حالة المجتمع ترتبط بحضارته المتأتية من مفاهيمه الأساسية عن الكون والإنسان والحياة، وأفكاره، وأنظمته والقوانين المنبثقة عنها، فبتغير حضارته تتغير حالته، ومثال ذلك تحول المجتمع العربي إلى إسلامي دون تغير أساليب الإنتاج.

و**ثالثا:** يرون أن التناقض الموجود في المجتمع يؤدي للتطور الحتمي غير صحيح حيث يمكن أن يزول التناقض بين الأطراف المختلفة دون حدوث تغير بالمجتمع، حيث يمكن أن يغير المجتمع أفكاره وأنظمته بتأثير مفكريه، أو بتأثير خارجي أقوى منه ماديا وفكريا.

5-نظرية الأجيال المتعاقبة والدورات التاريخية:

يعتبر **ابن خلدون** من أبرز المفكرين الذين يقدمون هذا الطرح، حيث يرى أن وجود الدولة يمر بثلاثة أجيال فيقول: "أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال"، **الجيل الأول** يتصف بالبداوة والبسالة والمجد بسبب العصبية، وتتحول الدولة في **الجيل الثاني** إلى الحضارة والترف واستبداد الحاكم واستكانة الرعية، أما في **الجيل الثالث** تكون الدولة قد فقدت حلاوة العز والعصبية بما فيها من ملكة القهر ويبلغ الترف غايته فيصبح أبناؤها عيالا عليها ويقصدون عن المدافعة في حالة تعرضهم للخطر، فيلجأ الحاكم إلى الاستظهار بسواهم من أجل النجدة حتى يأذن الله بإنقراضها بعد هرمها وتخلفها وهو **الجيل الرابع** في دورتها[1].

ونظرية **ابن خلدون** في نشأة الدولة وزوالها وتشبيه مراحل تطور بعمر الإنسان تبناها أيضا الفلاسفة الغربيون ومن أبرزهم نجد الفيلسوف الألماني **أشبنجلر (1880-1936)** الذي يشبه حضارات الدول بالكائنات الحية تمر من دور الولادة والطفولة ثم الشباب والنضج وأخيرا الشيخوخة والسقوط، فيقول: "إن الحضارة تولد في اللحظة التي تستيقظ فيها روح

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، بيروت: دار الجبل، د.ت.ن، ص188.

كبيرة...، وأن الحضارة ككل كائن حي لها طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها، وأنها تموت عندما تحقق روحها جميع إمكاناتها الباطنية على هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية وفنون وعلوم ودول، والحضارة عندما تحقق هذه الأمور وتستنزف إمكانات روحها في تجسيد هذه الإنجازات تتخشب وتتحول إلى مدينة، وأخيرا تتجاوز المدينة إلى الانحلال والفناء[1]"، وقد انتقدت لاختلاف طبيعتها، فالحضارة من صنع الإنسان، والكائنات العضوية ذات طبيعة فسيولوجية مختلفة.

ونجد أيضا الفيلسوف الإيطالي **فيكو (1668-1744)** الذي يرى أن حضارات الدول تمر بالأدوار الآتية:

1-دور عصر الآلهة: حيث يعتقد الناس بسيطرة على كل شيء، وهو يمثل دور الولادة.

2-دور البطولة: حيث يظهر دور الشخصيات الهامة القوية ويمثل دور الشباب والقوة.

3-دور الحقيقة: تسود المساواة الطبيعية بين الناس والقوانين التي يتساوى فيها الجميع ويمثل دور النضج الحضاري.

4-دور الانتكاس الحضاري والعودة إلى البربرية: التي تنبثق عنها حضارة جديدة تعود وتنهار وهكذا، وهو دور السقوط والانهيار، فهذه النظرية تبين القوانين والمداخل التي تمر بها الشعوب والحضارات من نشأتها وتقدمها ورقيها إلى انحطاطها ونهايتها.

مما سبق يظهر التشابه بين **ابن خلدون** و **أشبنجلر** في التشابه حول طبيعة نشوء الحضارات والكائنات الحية من حيث مراحلها (الولادة، النضج، الشيخوخة)، وهو نفس التشابه في الدورات التاريخية للدول وحضاراتها بين **ابن خلدون** و**فيكو**.

وعليه ومما سبق يمكن القول أن هذه النظريات مجتمعة تفسر بدرجة أو بأخرى كيفية نشوء الحضارات وازدهارها، وأن الخلل فيها أو ببعضها قد يؤدي لضعف الحضارة وموتها، فهي تستمر بتغذيتها أي بعملية نقل الحضارة.

---

[1]- محمد ضيف الله بطاينة، **في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، د.د.ن.، 2010، ص10.

وتتصل الحضارات وتنتقل أيضا بأسباب خارجية تؤثر عليها تؤدي إلي ازدهارها أو انحطاطها أو تغير مظاهرها وظهور حضارة جديدة كالغزو أو الفتح أو الحكم الأجنبي، كأن يكون الشعب الغازي أو الفاتح بدائيا في حضارته فيعرض حضارة الشعب المغلوب للدمار والخراب، أو أن يكون أقل مستوى حضاري من الشعب المغلوب، فيقتبس الشعب الغالب مظاهر الحضارة السابقة بعد مضي عهد الفتح أو الغزو مما قد يؤدي لنشوء حضارة جديدة، وفي حالة كان الشعب الغازي أو الفاتح أرقى مستوى حضاريا من البلاد المفتوحة تسود حضارة المنتصر وتتأثر حضارة الشعب المغلوب وتقتبس من الحضارة القادمة ما يمكن اقتباسه بحكم التأثر بها، مثل تأثير الحضارة الأوروبية أثناء عصر الاستعمار في مختلف أنحاء العالم، وفي حالة أخرى قد تكون البلاد المغلوبة عريقة في حضارتها فلا تسودها حضارة الغازي أو الفاتح، وإنما يحصل تبادل حضاري بين الطرفين (حكم الرومان، اليونان)[1].

ولا يقتصر انتقال الحضارة من بلد لبلد ومن شعب لآخر، بل قد ينتقل أيضا عن طريق بلد ثالث وهو ما حصل للحضارة العربية الإسلامية حيث انتقلت إلى أوروبا من طريق إسبانيا وصقلية والمدن الإيطالية التي اتصلت بالعرب أثناء الحروب الصليبية، وكذلك انتقلت حضارة اليونان إلى الغرب الأوروبي عن طريق العرب[2].

[1]– عبد الحسين مهدي عبد الرحيم، **المرجع سابق الذكر**، ص24.

[2]– **المرجع نفسه**، نفس الصفحة.

المحور الثالث: نظرية الحضارة عند المفكر الجزائري مالك بن نبي

يعتبر مالك بن نبي من المفكرين الرواد المسلمين في الفكر الحضاري إذ خاض في الفكر التاريخي والاجتماعي والفلسفي واطلع على فلسفات الحضارة الغربية، كما اهتم بشؤون عالمه الإسلامي الممزق ووضعه الحضاري الذي يرثى له.

أولا: تعريف الحضارة عند مالك بن نبي

قام مالك بن نبي بتحليل الأحوال والأحداث والوقائع التي كانت تحيط به، حيث كان حال المجتمع العربي الإسلامي وواقعه من هموم فكره واهتمامه، ولهذا كرس كل حياته وجهده للتعامل مع قضاياه ومشاكله وخاصة الأساسية منها ومنه أسمى كتابه، بـ "مشكلات الحضارة"، وهي قضايا ومشكلات التخلف و الانحطاط والفقر والأمية، الاستبداد السياسي.[1] وأدرك أن هذا المجتمع الإسلامي بإمكانه إعادة بناء نفسه من جديد وذلك بواسطة الوعي بطاقاته وفعاليته وارتباط الفكر بالعمل والتفريق بين الشكل والجوهر.

تناول مالك بن نبي الحضارة بنظرة شمولية (أي من عدة زوايا) من حيث تركيبها وتكوينها ووظيفتها في المجتمع وتطورها التاريخي والاجتماعي.

فيعرفها بأنه عبارة عن "مجموعة من الشروط الأخلاقية (المعنوية) والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذلك من أطوار نموه، فالمدرسة والمعمل والمستشفى نظام شبكة الموصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر، واحترام

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 34، 35 .

شخصية الفرد تمثل جميعا أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه[1].

فهو هنا ينظر للحضارة من خلال الخدمات الأخلاقية والمادية التي يحصل عليها كل فرد في المجتمع، كل حسب حاجته وسنه، و بالتالي فإن توفرت كل حاجات العصر ومستلزماته من تعليم ونقل وعلاج وسكن وحرية وأمن وكرامة...، فهي إذا الحضارة، فالحضارة عند مالك بن نبي هي "حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية"[2]، فهو ينظر إليها من جانب وظيفتها في المجتمع[3].

ومن جهة أخرى فمالك بن نبي ينظر للحضارة على أنها هيكل وروح وحركة وظيفية، فإذا كانت وظيفتها خدمة الإنسان ماديا ومعنويا، فليس معناها أنها جامدة أو ثابتة بل هي حركة تاريخية متغيرة غايتها السير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية، وهو ما انطلق عليه اسم الحضارة.

فالحضارة تضم جانبان متوازيان ضروريان لنموها هما الروح والجسد، فلا حضارة بدون هيكل ولا هيكل بدون روح، والحضارة هي بناء وتوازن بين الروح والجسد، فهي ليست فقط بناء القلاع والقصور أو نحت التماثيل وإقامة المعابد أو صناعة آلة أو اختراع جهاز، أو رفع إنتاج وما شابه ذلك من عالم الأشياء بل هي قبل ذلك بناء فكري فهي: "إنتاج فكرة تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر والدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره.[4]

---

[1] – فاطمة الزهراء بوزياني، **مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي و ابن خلدون**، مذكرة ماستر في الدارسات المقارنة، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، 2011–2012، ص 37.

[2] – المرجع نفسه، ص 38.

[3] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص16.

[4] – فاطمة بوزياني، **المرجع سابق الذكر**، ص ص38،37.

والحضارة هي نتيجة حركة تاريخية تطورية نحو الرقي، وهي نتيجة جهد يبذل ماديا وفكريا فهي "كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي".

ثانيا: عناصر الحضارة (تركيبها [1]).

الحضارة عند مالك بن نبي هي تركيب ثلاثة عناصر أو ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت، أي بعبارة أخرى: الحضارة = إنسان + أرض + زمن، وهذه العناصر الثلاث لا تمارس مفعولها وتأثيرها الحضاري إلا داخل تركيب منسجم ومتآلف يتحقق بواسطتها جميعا إرادة وقدرة المجتمع المتحضر على تقديم المساعدة الضرورية لأفراده، وهذا التركيب يتحقق بتدخل عنصر أخر هو "الفكرة الدينية" والذي يسميه مالك بن نبي بـ "مركب الحضارة"، فهذا المركب هو الذي يحدد الهدف ويعطي الدفعة لانطلاق مسيرة الحضارة.

فالحضارة إذا حسب مالك بن نبي لا تقوم إلا اجتمعت العناصر الثلاث و هي الإنسان و الأرض والوقت، بالإضافة إلى المركب الذي يجمع كل هذه العناصر وهو الفكرة الدينية.

أ – الإنسان: أسهب مالك بن نبي في تحليل هذا العنصر، وقال بأن الإنسان يؤثر في مجتمعه وفي البناء الحضاري بصفة عامة بثلاثة مؤثرات: بفكره أي ثقافته، وبعمله وبماله لكن بشرط أن توجه هذه المؤثرات الثلاث التوجيه الصحيح.

أ- توجيه الثقافة (الفكر)

حلل مالك بن نبي مفهوم الثقافة وأوضح الدور الذي تلعبه في أي المجتمع باعتبارها الركيزة الأساسية للحضارة وتناولها بالتحليل من مختلف الجوانب وشكلت محورا هاما من محاور فكره ونظريته.

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 37-43.

فيعرفها بأنها: "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد مند ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، وهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، والثقافة تكون دالة على سلوك الفرد، وهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر.

وحسب مالك فهي تتكون من:

- **المبدأ (العامل) الأخلاقي:** يعتبر هذا العنصر أو العامل ضرورة منطقية واجتماعية وتقوم على أساس العلاقات الشخصية أو الصلات الاجتماعية في المجتمع لأنه يقوم ببناء عالم الأشخاص.
- **المبدأ الجمالي:** والذي بواسطته يتم تكوين الذوق أو الاتجاه العام في المجتمع لأن الصلات الاجتماعية لا يحددها المبدأ الأخلاقي فقط بل إن الذوق الجمالي يجعلها في صورة معينة، تؤثر فيها الاعتبارات الشكلية، ويعتبره من أهم العناصر فهو الذي يعبر عنها بصورتها الحسنة إن وجد أو القبيحة إن فقد.
- **المنطق العملي:** ويقصد به النشاط العملي الملموس للإنسان في أرض الواقع وبواسطة هدا العنصر يتم تحديد أشكال النشاط العام في المجتمع، ويتطلب وسيلة تسيره وفق متطلبات الثقافة وهي العقل.
- **الصناعة أو العلم:** وذلك لأن العناصر الثلاث السابقة: العنصر الأخلاقي، الجمالي، العملي، لا تكفي وحدها لتركيب الحضارة بل لا بد من وجود عنصر العلم أو الصناعة وهي كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم، ودور العلم هو تقديم نظريات محددة وتطبيقها، ولكن العلم إذا تجرد من الأخلاق فإنه حتما يصل إلى حال مناقضة لأبسط قواعد القيم الحضارية في أي مجتمع.

فنوعية الثقافة تحدد بتقديم أو تأخير المبدأين الجمالي والأخلاقي وبالتالي بتحدد اتجاه الحضارة حسب مالك:

- مبدأ الأخلاقي + مبدأ جمالي ..... ثقافة أخلاقية.
- مبدأ الجمالي + مبدأ أخلاقي .... ثقافة جمالية.

ويرى أن الحضارة الغربية اليوم ذات أصول جمالية، حيث هناك أسبقية وأولوية المبدأ الجمالي على المبدأ الأخلاقي لأن مصدرها هو الحضارة اليونانية التي كان المجال هو المبدأ الأعلى فيها.

ب- توجيه العمل:

أي تنظيميه ويعتبر أفراد المجتمع في عمل ما داموا يعطون ويأخذون بصورة مؤثرة في المجتمع مهما كانت نوعية العمل أي دون احتقار أو تهميش لأي عمل أو حرفة مهما كانت صغيرة.

أما هدف توجيه وتجميع وتنظيم المجهودات الجماعية في اتجاه واحد لتغيير حالة الإنسان والمجتمع نحو الأحسن والأفضل، وبقدر ما يكون العمل في المجتمع موجه ومنظم بقدر ما تتجه أحوال معيشة الأفراد إلى حالتها الطبيعية، فيصبح لكل فرد مكانة وكرامة ومسؤولية فيه.

جـ- توجيه المال (رأس المال):

ويعني تحريك الأموال وعدم تركها مكدسة أو مخزنة وذلك بتوظيفها واستثمارها في مختلف المجالات والنشاطات من أجل تنشيط الثقافة (الفكر) وتنشيط العمل والحياة وتحسين حياة الإنسان ومعيشته.

إذن لا بد من توجيه كل هذه الأمور التي يؤثر بها الإنسان في المجتمع والحضارة وعندما يتحقق التكامل في توجيه هذه المؤثرات الثلاث التي يؤثر بها الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه فإن ذلك يؤدي بالمجتمع إلى الحضارة.

العنصر الـــثاني: التراب (الأرض)

ينظر إليه مالك بن نبي من جانب خصائصه الاجتماعية وليس الطبيعية، أي من جانب قيمته وأهميته في المجتمع، ويقول هذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه (الإنسان) فيحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة والعكس(حين تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط).

العنصر الثالث: الوقت (الزمن) :

قيمة الوقت كقيمة الأرض مرتبطة بقيمة الأمة، أي بقيمة العنصر الأول (الإنسان)، ويرى أن حظ أو حق الشعوب والأمم كلها من الوقت متساوي(24 ساعة) ولكن الفرق كما يقول: "عندما يدق الناقوس (الجرس) مناديا الرجال والنساء والأطفال إلى مجالات العمل والنشاط في البلاد المتحضرة أين يذهب الشعب الإسلامي؟ هنا المشكلة.

ويعطي مالك بن نبي العلاج لذلك بالتربية لتعليم الناس قيمة الوقت وأهميته والمحافظة عليه (علم الزمن كمادة تعليمية في كافة مراحل التعليم).

مركب الحضارة ودوره:

بالإضافة إلى العناصر الثلاث هناك العنصر الهام الذي يجمع هذه العناصر وهو **مركب الحضارة.**

قام مالك بن نبي بطرح سؤال هام ثم أجاب عنه "إذا كانت الحضارة في مجموعها هي نتاج للإنسان والتراب والوقت (عناصر الحضارة) فلم لا يوجد هذا النتاج تلقائيا أي تقوم الحضارة مباشرة عندما تتوفر هذه العناصر، إذن بد من وجود عامل يؤثر في مزج العناصر الثلاث ببعضها البعض، وهذا المركب هو الفكرة الدينية التي لازمت تكوين وتركيب الحضارات عبر التاريخ.

إن مركب الحضارة أو الفكرة الدينية يلعب دورا هاما ومؤثرا في الحضارات وقيامها فالحضارة حسبه لا تقوم إلا بالعقيدة الدينية ولهذا يجب البحث في كل حضارة عن أصلها الديني الذي أوجدها.

دور مركب الحضارة في صعود الحضارة وسقوطها

يرى مالك بن نبي أن الحضارة بناء و ليست استيرادا لحضارة أخرى، فهي ليست شراء و تكديس للأشياء من الغير و لكن هي إبداع يقول : "إن الحضارة هي التي تلد منتجاتها و سيكون من السخف أن تعكس هذه القاعدة، وحتى إذا اشترينا منتجات لحضارة أخرى فلا نستطيع أن نشتري الروح و الأفكار التي صنعت هذه الأشياء"، أي لا نستطيع مثلا استيراد جهاز أو آلة معقدة و نضعها في يد إنسان جاهل متخلف، فالحضارة تبدأ من داخل ثقافة الأمة، والعالم الإسلامي لا يستطيع أن يجد هداه خارج حدوده، و يرى أن الحضارة تسقط أو تنهار عندما تفقد العنصر الروحي.

لقد درس مالك بن نبي الحضارة الإسلامية وصلت إلى قمة التقدم بفضل تعاليم الإسلام التي شكلت قوة الدفع لبروز هذه الحضارة منذ ظهور الإسلام وبقي كذلك إلى عصر ابن خلدون (مرحلة ما قبل الموحدين) وسيطرت بعد ذلك الغريزة وبدأ العالم الإسلامي في الانحطاط والتخلف ويطلق عليها مرحلة ما بعد الموحدين.

إذا يرى مالك بن نبي أن الحضارة ناتج للعوامل الثلاث الإنسان والتراب والوقت يؤلف ويجمعها مركب الحضارة، وإنها بناء نابع من داخل المجتمع وليس من خارجه وسبب تخلف العالم الإسلامي يعود إلى تصوره الخاطئ للتقدم والنهضة عن طريق تقليد الحضارة الغربية.

كما يرى أن دورة الحضارة لا تبدأ إلا عندما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة لأن هذه الأخيرة تخلق في قلوب المجتمع غاية معينة و تمنح الوعي بهدف معين في الحياة وتصبح معه هذه لحياة ذات دلالة و معنى وقيمة، و بها يرتبط استمرارا الحضارة وتطورها، فالمجتمع

لا يستطيع مقارعة الصعاب والمشاكل التي يواجهه بها التاريخ كمجتمع ما لم يكن على بصيرة واضحة من هدف وجوده ودوره في هذه الحياة.

و سقوطها و انهيارها يرجع لغياب العامل الديني (مركب الحضارة)، فالبناء الاجتماعي و الحضارة لا يقويان على البقاء بعناصر و مقومات العلم و العقل و الفن فقط ، لأن الروح (الفكرة الدينية) وحدها هي التي تسمح للإنسانية أن تنهض و تتقدم و عندما تفقد هذه الروح تنحط الحضارة و تسقط لأن من يفقد القدرة على الصعود إلى الأعلى لا يملك إلا أن يهوى و يسقط بتأثير جاذبية الأرض، و الجاذبية هنا هي الغريزة التي تجذب الإنسان نحو الأسفل، أما الروح فتسمو به نحو الأعلى، و عندما يصل المجتمع إلى هذه المرحلة تكون نهاية دورة الحضارة و يدخل المجتمع المتخلف في ليل التاريخ .

دورة الحضارة عند مالك بن نبي:

من خلال تناول دور المركب الحضارة في صعود الحضارة وهبوطها يتضح أن الحضارة حسب مالك بن نبي تمر بثلاث مراحل مع ملاحظة أنه في كل من صعود الحضارة وهبوطها ليس هناك حتمية كما في جل الأفكار الغربية، وإنما الأمر يخضع لأسباب وسنن وأهم سبب في الحالتين هو عامل التغيير من طرف الإنسان نفسه إن صعود أو هبوطا.

أمـــا مراحل الحضارة عند مالك بن نبي فهي:

أ – مرحلة النهضة أو النشأة:

تبدأ النهضة الحضارية عندما يتم الاتصال بين السماء والأرض وذلك بنزول الوحي فتنشط الروح وتسيطر على الغرائز الإنسانية ثم تتحكم فيها فتروضها وتنظمها لتتبع نظاما معينا يوافق الفكرة الدينية التي تظهر مجتمعنا يتابع نموه وتوسعه ويصنع لنفسه شبكة علاقاته الاجتماعية الداخلية ذات الأخلاق عالية وتشمل هذه المرحلة امتداد اتساع الفكرة الدينية.

ب- مرحلة الأوج أو القمة:

بمرور الوقت تظهر في المجتمع مستجدات و حتى تستطيع الحضارة تلبية هذه المسائل و المستجدات و تنسجم معها، فإنها تضطر لسلوك منعطف جديد هو منعطف العقل الذي لا يملك سيطرة الروح على الغرائز، فتبدأ هذه الغرائز في التحرر شيئا فشيئا من قيودها و يتوافق ذلك مع ضعف لقوة الروح فيؤدي ذلك تلقائيا إلى انخفاض عن مستوى أخلاق المجتمع ثم يكون نتيجة كل هذا ضعف و نقص للوظيفية الاجتماعية للفكرة الدينية، و في مقابل هذا يشهد المجتمع ازدهارا في العلوم و الصناعات و الفنون و بذلك تكون الحضارة قد بلغت قمة و أوجه تطورها.

ج – مرحلة الأقوال والسقوط:

تواصل العزيزة تحررها من قيد الروح إلا أن يتم ذلك تماما، فتفقد الروح كل سيطرتها عليها و هنا تتغلب الطبائع الإنسانية السيئة على الفرد و على المجتمع و تصبح العلامة المميزة لهذه المرحلة التفسخ و الانحلال الأخلاقي و انتشار الفواحش و المنكرات...، و عند بلوغ هذا التحرر أقصاه تكون الحضارة في بداية أفولها أي نهاية دوره الحضارة، و في هذا الصدد يقول مالك بن نبي "هنا تنتهي الوظيفية الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ و بذلك تتم دوره الحضارة .

المحور الرابع: لمحـــــــــــــة تاريخية عن تطور الحضارة العربية الإسلامية:

مرت الحضارة العربية الإسلامية خلال مسيرتها الطويلة بعدة مراحل مختلفة بداية من النشأة و الظهور ثم التطور و القمة كما عرفت مراحل الانحطاط و التخلف و تمثلت هذه المراحل باختصار في[1]:

أولا: مرحلة النبي صلى الله عليه و سلم

بدأت الحضارة العربية الإسلامية مع ظهور الدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه و سلم، و قد ولد محمد بن عبد الله – ص– سنة 571 م وهي سنة المعروفة بعام الفيل، مات أبوه قبل أن يولد صلي الله عليه وسلم وتوفيت أمه وهو في 16 من عمره.

في الأربعين من عمره –ص– في غار حراء نزل عليه الوحي يوم الإثنين السابع عشر (17) من رمضان، 13 سنة قبل الهجرة الموافق لـ 610م، و اعتنق هذا الدين الجديد (الإســـــــلام) الذي من أهم أركانه التوحيد المطلق لله عز وجل "قل هو الله أحد" و من أجل أهدافه كرامة الإنسان و حريته "ولقد كرمنا بني أدم"، اعتنقه أولا بعض المتصلين بالرسول الكريم –ص– و هم من أعز رجال قريش (السابقون الأولون).

استمرت هذه الفترة التي سميت "دعوة الأفراد" ثلاث سنوات، لتبدأ بعدها فترة الجهر بالدعوة، فآذت قريش المستضعفين، فنصحهم الرسول صلي الله عليه و سلم بالهجرة إلى الحبشة.

[1] – شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية و موجز عن الحضارات السابقة**، دمشق: دار الفكر، 2002، ص ص 195، 206

ثم كانت هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، واتخذ المسلمون من هذه الهجرة بداية للتأريخ الهجري الذي وافق سنة 622 م، ونشأت بذلك حكومة نظامية في المدينة.

استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم رابطة العقيدة مقام رابط الأسرة والدم فوحد قلوب الأفراد الدين فرقتهم العصبية القبلية، وأقام أركان الإسلام وقام بالغزوات و الجهاد.... وفتح مكة سنة 8 هـ.

كانت وفاته عليه أفضل الصلاة والسلام بعد حجة الوداع بثلاثة أشهر الاثنين 13 ربيع الأول، سنة 11 هـ وهو في 63 من عمره بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة.

امتاز صلى الله عليه وسلم بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ للنفوس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد كان عليه الصلاة والسلام من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي و الأخلاقي لشعب عانى من الجاهلية، وقد نجح في هدا الغرض نجاحا لم يماثله فيه أي مصلح أخر في التاريخ كله.

ثانيا: مرحلة الخلفاء الراشدين

بعد وفاة الرسول – ص– قامت دولة الخلفاء الراشدين 11–40 هـ (29 سنة) وهم أبو بكر الصديق (11–13 هـ،632–634 م) الذي وطد دعائم الدولة الإسلامية بقضائه على حركة الردة، وتوجيهيه الجيوش إلى الفتح في العراق وبلاد الشام لا لفرض عقيدة وإنما لإنهاء الظلم ونشر الإنسانية والإخاء والعدل.

عمر بن خطاب رضي الله عن (13–23 هـ، 634 –644) الذي نظم شؤون الدولة وتمت في عهده أيضا فتوح عظيمة في بلاد الشام (بعد اليرموك) والعراق ومصر وفارس.

عثمان بن عفان رضي الله عنه (23–35 هـ، 644–656) والذي فتحت في عهده أرمينيا والشمال الإفريقي...

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (35 –40 هـ،656، 661 م) وفي عهده بدأت الفتنة التي قادها عبد الله بن سبأ، وقتل علي كرم الله وجهه على يد عبد الرحمان بن ملجم الخارجي في الكوفة.

ثالثا: مرحلة الخلافة الأموية و العباسية

انتقلت الخلافة بعدها إلى الدولة الأموية (41هـ 132 هـ، .661، 750م)، حيث توالت على سدة الحكم في العاصمة الجديدة دمشق أربعة عشر خليفة أشهرهم معاوية بن أبي سفيان الذي توفي سنة 60هـ ، 680م و هو مؤسس الدولة، بلغ أسطوله رودس و بعض جزر بحر ايجة و حاصر عاصمة الروم البيزنطيين القسطنطينية و أتم الفتح في الشمال الإفريقي على يد عقبة بن نافع باني مدينة القيروان سنة 55هـ، و كذا مروان بن الحكم، و عبد الله بن مروان (65 هـ ، 86 هـ ، 685 – 705 م) الذي عرب الدواوين و النقد، و بلغت الدولة الأموية قمة مجدها و ذروة فتوحها أيام الوليد بن عبد الملك (86 هـ – 96هـ 705 – 715 م) الذي فتح سمرقند و الأندلس على يد طارق بن زياد و موسى بن نصير، و عمر بن عبد العزيز (99هـ،101 هـ)، الخليفة الراشدي الخامس الذي أعاد الإسلام إلى صفاءه ونظم حركة ملؤها الحماسة في نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

سقطت الدولة الأموية سنة 132 هـ – 750 م لأسباب كثيرة منها نظام ولاية العهد الذي أوصل إلى الحكم أحيانا من ليس أهل له، وخصوصا تولية العهد لاثنين حيث ظهر التنافس بين أفراد البيت المالك على إثرها، و الروح العصبية هي السبب الثاني لسقوط الدولة الأموية، تلك الروح التي بعثت بين القبائل العربية، كما بدأ التعصب للعرب يظهر على

الألسنة و في نتاج الفكر و في سياسة الدولة، فمن الطبيعي أن يخنق الموالي على الأمويين فلما نشطت الدعوة العباسية انضموا إليها لينالوا حقوقهم.

قامت الدولة العباسية سنة 132 هـ 750م و انتقلت العاصمة من دمشق إلى بغداد أيام أبي جعفر المنصور (136 هـ ، 1058 – 754 –775 م) الذي عرف بالحزم و صواب الرأي و حسن السياسة، حيث كان المنصور من عظماء الملوك و عقلائهم و علمائهم، و ذوي الآراء الصائبة و التدبيرات السديدة و حسن الخلق في الخلوة ...

بلغت الدولة العباسية ذروة مجدها وأوج عظمتها أيام هارون الرشيد (170–193هـ، 786 –809 م) سيد ملوك بني العباس دون منازع، بلغ ما لم يبلغه أحد قبله من سعة الآفاق وهبة السلطان و تأمين الحدود و الثغور، عرفه الشرق من الصين وعرفه الغرب حتى فرنسا، فترنم بسريته وبعظمة دولته وبنظامها ورفاهيتها وعلمها...

توالى خلالها 37 خليفة، أولها أبو العباس السفاح وآخرهم المعتصم بالله كما قامت إمارة أموية في الأندلس أسسها عبد الرحمان الداخل (صقر قريش).

وكانت بغداد في عهد الرشيد قبلة العلم والعلماء من جميع الأمصار الإسلامية يرحلون إليها ليتمموا ما بدؤوا من علوم وفنون فهي المعهد العالي للتخصص، وقد سكنها حوالي مليونان من البشر تتعالى فيها القصور وتجري إليها التجارة من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن شرقي أسيا حتى أواسط أوروبا وأعالي النيل في إفريقيا.

وفي زمن ابنه عبد الله المأمون (198 –218 هـ، 813–833 م) الملقب بالخليفة العالم، يتمثل عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بازدهار بيت الحكمة أعظم مكتبات العالم آنذاك وبتشجيع العلم والعلماء ورعايتهم.

بدأ الضعف يسري في كيان الدولة العباسية بعد الواثق 232 هـ وبموته انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية وصارت ميدانا للدسائس وغدت في أيدي الأتراك يولون ويعزلون

ويحبسون ويقتلون، ومن هنا بدأ العامل الرئيسي في اضمحلال الدولة العباسية وسقوطها فظهرت الدول المستقلة وشبه المستقلة "الدويلات" كالطاهرية، الفاطمية والزيدية مع إعلان الخلافة في الأندلس سنة 316 هـ .

انقضت الخلافة العباسية بمقتل آخر خلفائها المعتصم بالله على يد التتار سنة 656 هـ 1258 م (تآمر وزيره معهم مؤيد الدين العلقمي).

قامت دويلات أعلنت تبعيتها لبغداد وكانت ومضات رائعة في ركب الحضارة الإسلامية منها دولة المرابطين والموحدين في المغرب الأقصى(430-541، 541 -668هـ)، والأندلس (1038 -1147، 1147-1193 م) والدولة النورية بقيادة نور الدين محمود بن زنكي (541-569 -1146-1173م)، و الصلاحية بقيادة صلاح الدين الأيوبي(532-598هـ-1137-1193م) في مصر و بلاد الشام، كما بلغت الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر(277-350هـ، 890م-961م) أوج نهضتها حتى غدت قرطبة جوهرة العالم يأتيها طلاب العلم الأوروبيون لينهلوا من جامعاتها و معاهدها العالية.

رابعا: مرحلة الدولة العثمانية

وأخر مرحلة في الحضارة العربية الإسلامية كانت مع الدولة العثمانية 1299م - 1923 م التي تمكنت من الانتصار في عديد الحروب التي خاضتها ووصولها إلى حلب ودمشق والقاهرة، وقد انتصر العثمانيون بسبب تسلحهم الحديث وصناعتهم لمدافعهم وبنادقهم النارية مع حسن استخدامها.

أسسها عثمان الأول بن أرطغرل سنة 1299 حتى 29 أكتوبر 1923 بلغت الدولة العثمانية دورة مجدها وقوتها خلال القرنين 16 و17 وامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من أوروبا وآسيا وإفريقيا (29 ولاية).

وأضحت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول "القانوني 1520-1566" قوة عظمى من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها القسطنطينية تلعب دور الوصل بين العالمين الأوربي والشرقي الإسلامي ويعتبر هدا العصر الذهبي للدولة العثمانية وبهد انتهاء عهده بدأت الدولة تصاب بالضعف والتفسخ وأخذت تفقد ممتلكاته شيئا فشيئا على الرغم من أنها عرفت فترات من الانتعاش والإصلاح إلى أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق.

ولقد أصاب الجمود الدولة العثمانية في سنينها الأخيرة، فأبقوا القديم على قدمه وكرهوا التغيير فسبقهم الزمن وتقدمت العلوم وازدهرت الصناعات، وهيهات أن يقف الجهود في وجه مطامع الأوروبيين المستعمرين الذين امتلكوا مع مطامعهم وحقدهم ودسائسهم وسائل الحرب الحديثة فسقطت الدولة العثمانية أمام ضربات الطامعين بأراضيها من قياصرة الروس وأباطرة أوروبا الذين أهمهم ثروة الشرق ومركزه الاستراتيجي الهام.

خامسا: عـــــــــوامل ازدهار الحضارة العربية الإســـلامية ومصادر قوتها

1-التمسك بشريعة الله والاستقامة على كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم: كان السبب الأساسي والرئيسي لازدهار هذه الحضارة، فقوة هذه الأمة وسلامة حضارتها العمل بطاعة الله في كل ناحية من نواحي الحياة وعلى العكس والنقيض فضعفها في الانحراف عن المنهج الله، وعلى قدر تباعدنا عن هذا المنهج على قدر تخلفنا وفشلنا، قال تعالى "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" سورة النور،آية 55.

2- اهتمت الحضارة الإسلامية بالعلوم والمدنية كما اهتمت بالنواحي الدنية، فكانت الحضارة الإسلامية حضارة تمزج بين العقل والروح فامتازت عن كثير من الحضارات السابقة، فالإسلام كدين عالمي يحض على طلب العلم ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة لتنهض أممه وشعوبه فأي علم مقبول باستثناء العلم الذي يخالف قواعد الإسلام ونواهيه، والإسلام يكرم العلماء ويجعلهم ورثة الأنبياء، (وهذه الحضارة عبر كل مسارها ومراحلها وكل فتراتها الذهبية تميزت بالتقدم العلمي و الاهتمام بالعلم و العلماء).

يقول "موريس بوكاي" الباحث الفرنسي المعروف "إن الإسلام قد اعتبر دائما الدين و العلم متلازمان، فالعناية بالعلم جزء لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام، و أن هذا الأمر هو الذي أدى لازدهار العلوم في عصر الحضارة الإسلامية تلك التي أقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا" ، فما من دين أبدا حث على التقدم العلمي كما حث عليه الإسلام، و أن التشجيع الذي لقيه العلم و البحث العلمي من الدين الإسلامي انتهى إلى ذلك الإنتاج الثقافي الباهر أيام الأمويين و العباسيين و أيام دولة العرب في الأندلس، و إن أوروبا تعرف ذلك حق المعرفة لأن ثقافتها نفسها مدينة للإسلام بتلك النهضة بعد قرون من الظلام.

المحور الخامس: أسس الحضارة العربية الإسلامية و مقوماتها

لكل حضارة أسس يقوم عليها وهذه الأسس هي التي تجعلها تمتاز بخصائص ومميزات معينة تعطيها هويتها وتميزها عن باقي الحضارات الأخرى وتتمثل أسس الحضارة العربية والإسلامية في:

1 – الإيمان:

جعلت الحضارة العربية والإسلامية الإيمان أولى دعائمها وهو يشمل أولا الإيمان بالله الواحد الخالق ومن هده الدعامة تفرعت بقية الأمور الاعتقادية، كالإيمان باليوم الآخر وبقية أركان الإيمان المعروفة، (الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و القضاء خيره و شره)، و الإيمان هو الاعتقاد الجازم بان الله هو رب كل شيء و مليكه و خالقه و انه يستحق وحده أن يفرد بالعبادة.

و توحيد الله هو أساس الإيمان الصحيح و هو ما يؤدي لوجود تصور اعتقادي صحيح، و التصور الاعتقادي الصحيح فهو تلك الرؤية أو التصور عن الكون و الإنسان و الحياة و الذي ترسمه العقيدة الصحيحة فيسير الإنسان على دربها و يستضيء بنورها و يعلم موقعه من هذه الحياة و يدرك رسالته و دوره فيها، وذلك خروجا عن العقائد الفاسدة والتصورات المنحرفة التي تنتج نتاجا فاسدا، فالحضارة وليدة الأفكار وثمرة التصورات.[1]

فلا بد للمسلم من تفسير شامل للوجود يتعامل على أساسه مع هذا الوجود ففي هذا الإطار ذهب الكثير من الناس وخاصة الفلاسفة منهم إلى محاولة الإجابة عنها (التساؤل عن حقيقة الكون، والحياة ودوره فيها) ولكن بعيدا عن هدى الله و وحي السماء ولذلك

[1]– عمار توفيق أحمد بدوي، **مقومات الحضارة و عوامل أفولها من منظور القران الكريم**، رسالة ماجيستر غير منشورة، تخصص أصول الدين، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2005، ص 22.

ضاعوا وتاهوا ولم يجدوا الجواب الصحيح لأن الإجابات قامت على الأهواء الضالة بدون هدي رباني ولا توجيه إلهي.[1]

والإسلام أعطى الأجوبة الشافية والكافية لهذه الأسئلة: من أين؟: الله هو الذي خلقنا وأوجدنا، لماذا لمهمة القيام بدور في هذا الكون و الحياة والعبادة والعمران، إلى أين؟ سنعود إلى الله ليجازينا أو يحاسبنا على الدور الذي قمنا به.

فالحصول على هذه الأجوبة الكافية والشافية يجعل القلب والضمير الإنساني يستريح ويطمئن من الحيرة الذهنية والنفسية وتزول عقدة الشك وعدم اليقين مما يؤدي إلى تحرر الطاقات والإمكانيات الإنسانية المكنونة تفجر المواهب والعبقريات البشرية ...في إطار البناء الحضاري.

فالإيمان الصحيح هو الذي ينبثق عنه تصور اعتقادي صحيح وهذا التصور أو الاعتقاد يستقر في القلب ويرتضيه العقل يتفاعل مع المشاعر وينعكس على التصرفات في واقع الحياة.(وهنا دوره في بناء الحضارة)

وقد تمكن المسلمون الأوائل من بناء حضارة عظيمة لأنها انطلقت واستهدفت غاية هامة وهي الإيمان بالله وحده، وبدور الإنسان في الحياة والكون وما يتطلب ذلك من تحقيق لإدارة الخالق وهيمنته في كونه وعلى مخلوقاته وهو تكريم من الله للإنسان المكلف في هذا الكون بمهمة ملء الحياة بالخير والصلاح والجمال والرخاء لكل البشر[2].

فالإيمان في حقيقته ليس قولا يعلن ولا آيات تقرأ بل هو قول وعمل، ففي القرآن الكريم لا نجد آية واحدة تدعو للإيمان إلا وهي مقرونة بالدعوة للعمل بل للعمل الصالح النافع، ذلك أن الإيمان هو منهج حياة ولا ينفصل عن كل عمل يقوم به الإنسان في حياته،

[1] – محمد مجدان، **المرجع السابق الذكر**، ص 55.

[2] – المرجع نفسه، ص 57.

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ" سورة الحجرات، الآية 15.

وقال الرسول – ص – "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم الأماني فقالوا نحن نحسن الظن بالله كذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل".

فالإيمان هو روح الحضارة، ولا حياة لجسد بلا روح، وإذا كانت الحضارة أفكارا فلب أفكارها وجوهر معدنها هو التصور الاعتقادي الصحيح الذي يلهم أفكارها ويبلور خططها وبه تنظر الحضارة إلى مستقبلها.

يقول مالك بن نبي "حينما يبتدئ السير إلى الحضارة لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء والعلوم ولا من الإنتاج الصناعي أو الفنون، تلك الإمارات التي تشير إلى درجة ما من الرقي بل الزاد هو المبدأ الذي يكون أساسا لهده المنتجات جميعها.[1]

2 – العبادة:

العبادة في الإسلام هي التعبير الواقعي والعلمي لمعاني الإيمان، تشمل كل مجالات سلوك الإنسان المسلم ونشاطاته، فهي ترجمة لمعاني الإيمان على الأرض الواقع.

والعبادة في الإسلام تعتبر السبب الذي أوجد الله البشر بل جميع مخلوقاته من أجله، فهي تعتبر الغاية التي يرضاها الله لعباده وخلقه "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**"، سورة الذاريات، الآية 56.

أي أن حياة الإنسان والمخلوقات كلها هي لعبادة الله وحده وحتى موت الإنسان المسلم يكون لله أو في سبيل الله "**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**" سورة الأنعام، الآية 162.

[1] –عمار توفيق أحمد بدوي، **المرجع سابق الذكر**، ص 32.

فمفهوم العبادة يمتد إلى كل المجالات الحياة البشرية العامة والخاصة الظاهرة و الباطنة، الفردية والجماعية المادية والروحية.

فإن كان للعابدة دور هام في تحويل المعاني الإيمان إلى الأرض الواقع المعاش فما هو دورها في البناء الحضاري[1]؟

هي بمثابة منبه وحافز يدفع المسلم إلى يقظة الضمير الدائمة والى تحمل المسؤولية أمام الله في القيام بكل عمل يؤديه مستجمعا ومستغلا كل جهده وطاقته من أجل المزيد من العطاء والإنجاز كل حسب قدراته وطاقاته وإمكانياته، وهذا يعتبر محرك حضاري عظيم لأنه يدفع الإنسان إلى العمل على أحسن وجه بل والتضحية بالغالي والنفيس والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فالمسلم يتصل بالله بالعبادة فيتذكر إحاطته سبحانه ورقابته له في داخل نفسه (الإحسان)، وهذه الرقابة الربانية تدفع المسلم إلى الشعور بالمسؤولية والعمل المستمر الدائم من أجل الخير وإرضاء الله تعالى.

فبغرس الإيمان في المجتمع يتشكل هذا الدافع أو المنبه لاستغلال كل طاقات أفراده وإمكانياتهم وأوقاتهم على أحسن وجه من أجل الخير والصلاح، ويستطيع هذا المجتمع تحقيق التقدم الحضاري المنشود.

فكل عمل أو سلوك يقوم به الإنسان المسلم ترجمة عن الإيمان هو عبادة لله في حقيقة الأمر، فعندما يشعر الإنسان المسلم بأنه مكلف بالعمل يؤديه كعبادة لله، فيبعد عنه الإحساس بالكسل والسلبية (العمل عبادة).

فمفهوم العبادة الصحيحة والحقيقية في الإسلام يشمل الاعتقاد (الإيمان) الراسخ في القلب والضمير إلى جانب الحركة والعمل في الحياة وبذل الجهد بدون تناقض بينهما (الاعتقاد الداخلي والعمل الخارجي)

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 60، 62.

والنشاط الإنساني لا يكون متصفا بهذا الوصف محققا لهذه الغاية أي غاية الوجود الإنساني إلا بشرطين هما: أن يكون النشاط تبعا للمنهج الرباني أي وفقا لما الأمر الله سبحانه وتعالى أو نهى عنه ولا يتعارض مع تعاليمه ومنهاجه.

و أن يبتغي هدا النشاط وجه الله سبحانه وتعالى أي الإخلاص، "**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**"،سورة البينة، الآية 05.

فالعبادة ليست الصلاة والزكاة والصوم والحج، فهذه الأركان تسمى شعائر التعبد وهي بمثابة محطات في رحلة الحياة الطويلة التي كلها عبادة[1].

3 – الاستخلاف والعمران:

إن وظيفة ودور الإنسان في هذا الكون هي الخلافة والعمران، فقد أراد الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان أن يكون خليفته في الأرض، "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**" سورة البقرة، الآية 30.

فالله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفة له مفوض من قبله لنشر منهجه وكذلك عمارة الأرض "**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**". سورة هود، الآية 61 (أي طلب منكم عمارتها).

إذا مهمة الإنسان في هذا الكون وهذه الأرض هي الخلافة عن الله في الأرض والتي تعي تحقيق منهجه في الكون بنشر الخير والصلاح والحب والجمال وغيرها من المعاني السامية بين البشر في الأرض وكذلك عمارة هذه الأرض بما ينفع البشرية كلها ويسعدها.

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 62–65.

وإن ما يدفع للاهتمام أكثر بقضية الاستخلاف وعمارة الأرض وهو أن البعض (حتى من المسلمين أنفسهم ونتيجة لتراكمات كثيرة والتطبيق الخاطئ للمسحية في الغرب اعتبروا أن الأديان السماوية تدفع إلى الانعزال والسلبية والفرار من الحياة واعتبروا أن الدنيا قنطرة عليهم أن يعبروها لا أن يعمروها فهي جنة الكافر وسجن المؤمن، ومن هنا يصبح الدين نقيض للتقدم والتحضر، وأن الإيمان يقف ضد الإبداع والنشاط ... حتى قال كارل ماركس: الدين أفيون الشعوب (مخدر ومنوم) ومعيق للحياة ولا يتمسك به إلا الضعفاء الذين لا يستطيعون مواكبة الصراع الطبقي في الحياة.

وهو اعتقاد وتفسير خاطئ، فدين الإسلام يحث العمل وعمارة الكون والحياة وذلك لخير الناس كله ونهيه عن إلحاق الضرر والأذى بهم "**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**" سورة القصص، الآية 77.

وفي الأثر "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا" والمنهج الإسلامي لم يجد نفسه أبدا في مشكل أمام الاستفادة من منتجات أو تيسيرات الحضارة في جانبها المادي، بل يعتبر ذلك جزء من وظيفة ودور الإنسان في هذه الأرض "**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ***" سورة الأعراف الآية 32.

غير أن الإبداع المادي وحده لا يشكل ولا يسمى في الإسلام حضارة ولكن ليس معنى هذا أن النظرة الإسلامية للحضارة تستبعد النتاج المادي للحضارة وثمارها (زينة الله) فهي ليست غاية في حد ذاتها فالمهم ليس التقدم الصناعي أو المادي والرفاهية والانتفاع والاستفادة من ذلك فحسب بل المهم هو القيم التي تسود المجتمع الإنساني والميدان الذي تستعمل فيه المنتجات والإطار الذي توضع فيه والتي تكون في مجموعها عناصر الحضارة وهي التي ترفع وتنمي إنسانية الإنسان.

ففي الإسلام هناك تكامل بين العقيدة الإيمانية وحركة الواقع المعاش ليتحرك على ضوئها الإنسان المسؤول كخليفة الله في أرضه لعمارة الكون والحياة وفق القيم الإلهية نفسها.

(فالإنسان بما يملك من إمكانيات عقلية وإدراكية يستطيع أن يمارس دوره كمخلوق عاقل متميز حيث حمله الله أمانة التحضر والتقدم والبناء والعمران ولهذا كرمه وفضله على سائر المخلوقات).

هذه الأسس والمقومات: الإيمان والعبادة، الخلافة والعمران هي الأهداف و الأسباب والمقاصد التي من أجلها خلق الله الإنسان في هذا الكون وهي متكاملة ومتلازمة لا يمكن الفصل بينها، فعابدة الله هي الترجمة العملية للإيمان وهي في نفسن الوقت جزء من خلافته تعالى وتعمير الأرض، فالخلافة والعمران هو جزءان أساسيان من العبادة، والمؤمن الصادق الحقيقي هو الذي يجعل كل هذه الأهداف والمقاصد متكاملة ومتناسقة تماما، وبقدر ما يحققها يكون تقدمه ورفعته، وبقدر فشله فيها كلها أو بعضها يكون تخلفه.

وعيب الإنسان في الحضارة الغربية الحديثة هو أنه استطاع فعلا أن يعمر الأرض ويعمل على أن تأخذ زينتها وزخرفها ولكنه لم يحقق العناصر الثلاثة الأولى و هي الإيمان و العبادة و الخلافة و لهذا لم ينفعه العنصر الأخير و هو العمران، النفع المرجو بل العكس أشقاه وأهلكه عوض أن يسعده ويحفظه.

فبهذه النظرة الصحيحة لغاية الكون والحياة ودور الإنسان فيها تقوم الحضارة الراقية وتتحقق في واقع الناس و إلا فهي حضارة مغشوشة تؤدي إلى تعاسة وشقاء الإنسان بدل سعادته وهنائه في الدنيا قبل أخرته.

"**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى (124)قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى (126)**".سورة طه، الآية 124-126.

المحور السادس: خصائص ومميزات الحضارة العربية الإسلامية

تتميز الحضارة العربية الإسلامية بمجموعة خصائص و مميزات تتمثل في:

1-الوحدانية (توحيد الله سبحانه و تعالى):

إن العقيدة الإسلامية كأساس للحضارة العربية الإسلامية عقيدة تنادي بالإله الواحد الذي لا شريك له ، قال تعالى "**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)**" سورة الإخلاص، فلا يوجد في هذا الكون إلا إله واحد هو سبحانه و تعالى الخالق و المالك، المدبر و المسير لكل شيء في هذا الوجود، لا ينازعه و لا يشاركه أحد في خلقه و ملكه و تدبيره، و بالتالي فهو وحده دون سواه الذي يتوجه إليه بالعبادة و الخضوع و الطاعة[1]، و هو الذي يستعان به (إياك نعبد و إياك نستعين).

وميزة التوحيد التي تميزت بها العقيدة الإسلامية ومنه الحضارة الإسلامية جعلتها تتخلص من مفاهيم وعقائد الشرك والوثنية وعبادة الأصنام أو الأشخاص.[2] ... أو أي شيء أخر فهي حضارة لا تستند لا إلى تمثال ينحت ولا إلى أي اعتقادات أو تصورات وهمية خاطئة (كما في العديد من الحضارات الأخرى)، وإنما تستند وتقوم على قاعدة فكرية واضحة جلية لا غموض فيها يقتنع بها العقل الإنساني السليم وتتماشى مع الفطرة السوية.

نتـــــائجها:

- صححت العلاقة بين البشر أنفسهم فأزالت القدسية والعظمة عن أي منهم (فليس في الإسلام قديس ولا رجال دين بالمعنى الغربي بل هناك علماء وفقهاء وكل إنسان مسلم هو رجل دين)، وهذه الحضارة وقفت ضد كل من يزعم الألوهية والقدسية من البشر، وبذلك منعت العبودية والخضوع، فحررت الجماهير من طغيان الملوك (باسم

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 69.

[2] – إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص 45.

الدين)، وصححت العلاقة بين الحاكمين والمحكومين[1]، بل الجميع عبيد لله رب العالمين.

فالوحدانية رفعت مستوى الإنسان وحررته من القيود والعبودية التي وضع نفسه فيها أو وضع فيها لأنه سيظل مكبلا ومقيدا، وبالتالي لا ينتظر من مثل هؤلاء أي بناء حضاري خلاق، فالتحرر من العبودية له تأثير إيجابي في حياة الناس وفي انجازاتهم الحضارية.

- خلو هذه الحضارة عن كل الحضارات الأخرى من مظاهر الوثنية والشرك في فلسفتها وآدابها وفنونها ..... التي تعيق الانطلاق في بناء حضاري خلاق، وهو سبب عزوف المسلمين عن ترجمة أدب وفنون اليونان وأساطيرهم كالإلياذة... رغم ترجمتهم لعلوم أخرى لقيامها على الوثنية و الخرافات و الأساطير وتعدد الإلهة مما يؤدي إلى التيه والضياع الفكري والعقلي والنفسي ومالها من تأثير سلبي على إبداع الفرد وتحرره الخلاق.

2 – الاتجاه الإنساني والعالمي(النزعة الإنسانية والعالمية)

الخاصة الثانية من خصائص هذه الحضارة أنها حضارة إنسانية المنهج والاتجاه وعالمية الهدف والغاية "عالمية لا تقتصر على شعب أو لون أو عرق وإنما تشارك فيها كل الشعوب والأجيال والأعراق"، فهذه الحضارة جاءت لكل الناس بدون استثناء، في كل مكان وفي أي زمان ليس لها حدود مكانية ولا زمانية ولا عرقية، فهي حضارة للإنسان كإنسان أيا كان أصله وشكله وعرقه موقعه و عصره[2]، (ليست عنصرية منغلقة).

وبالإضافة إلى كونها جاءت لكل الناس فهي ساوت بينهم أيضا في أصلهم الواحد، فقد حدد القران الكريم وحده النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومواطنه في قوله:"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا**

[1]– إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص45.

[2]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص75.

خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" سورة الحجرات، الآية 13.

ونتيجة لهذه المساواة فإن عطاء الحضارة الإسلامية ونتاجها كان لكل الناس، فعندما فتح المسلمون الأوطان عمروها ونشروا فيها الحضارة، وبما أنها إنسانية وعالمية نجد أنها لم تخل من مشاركة وإسهام غير المسلمين في بنائها لأنها لم تنكر عليهم حقهم وحظهم فيها.

لذلك فالحضارة الإسلامية أسهم في إقامة صرحها من عباقرة جميع الأمم والشعوب فأبو حنيفة،الشافعي، أحمد بن حنبل، الغزالي، الفارابي...و غيرهم كثير ممن اختلفت أصولهم وأوطانهم ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة العربية الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم.[1]

وبما أنها ذات اتجاه إنساني عالمي في الحرص على نشر الفضيلة والأخلاق الإنسانية الراقية والخير للإنسان ككل وسعادته، ونبذ العدوان والظلم الاستبداد والاستكبار والعنصرية، والتفرقة والكراهية كما هي الحضارة الغربية اليوم القائمة على الاستعلاء والاستكبار والعنصرية والهمجية والقتل والتدمير... (العالمية: تجمع البشرية تحت أصل واحد وتدفع للتعاون والإخاء ومع الاعتراف بالخصوصيات واحترمها).

3 – الاتجاه الأخلاقي في المبادئ والأهداف:

جعلت الحضارة الإسلامية المبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها، فهي تقوم على سيادة القيم الخلقية والمبادئ السامية في حياة الفرد المجتمع والدول والأمم كذلك. والأخلاق مهمة جدا في حياة الأفراد والمجتمعات لأنها ترسم السلوك

[1] – إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص 46.

وتحدد أهدافه وبواعثه، أي صون الإنسان عن الخطايا في سلوكه بحيث يكون مستقيما في قصده، وفعله وهدفه بعيدا عن الأهواء أو التقليد الأعمى[1].

فالحضارة الإسلامية دعت إلى أخلاق متميزة في الوسائل والغايات فلا يجوز ولا يصح الوصول لغاية أو هدف و لو كان مشروعا بالوسيلة غير الشريفة، إذ لا وجود للمبدأ المكيافيللي "الغاية تبرر الوسيلة" لأنه مبدأ خطير على الفرد والمجتمع والدول والأمم ويهددها بالانهيار والدمار.

فهذه الحضارة لم تجعل وسيلة لمنفعة الفرد أو جماعة أو مجتمع أو دولة سواء في الحكم أو العلم أو التشريع أو الحرب أو السلم، الاقتصاد، المعاملات إلا مراعاة المبادئ الأخلاقية تشريعا وتطبيقا، وبلغت في ذلك شأنا ساميا لم تبلغه حضارة في القديم والحديث، وكفلت بذلك سعادة الإنسان، فسعادة الإنسان تحصل له من حسن الخلق.

ومن هنا كانت عناية الإسلام بحسن الخلق، وقد وصلت عند الرسول –ص– إلى حد أن جعل الخلق متعلقا برسالته فقال "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فالأخلاق العالية ضمانة أساسية لتقدم الفرد والمجتمع ورقيهما.

4– التسامح:

التسامح الديني إحدى أهم مميزات العقيدة الإسلامية وركيزة أساسية للحضارة الإسلامية وقد أمر الله عز وجل بالصفح والتسامح في أكثر من موضع من القران الكريم "**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89)***الزخرف الأية89، " ۚ **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** "التغابن 14.

وقد تمكن غير المسلمين من العيش مع المسلمين على الرغم من مخالفتهم لهم في الدين والعقيدة، كما لم يكرهم أحد على الدخول في الإسلام إطلاقا "لا إكراه فالدين"، بل ولم

[1] – إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص 47.

يمنعوا حتى من ممارسة شعائرهم وعبادتهم حتى ولو تناقضت مع الإسلام، بل كان المسلمون معهم أكثر عدلا في كل الأمور والأحوال (في السلم والحرب.)

وكان المسلمون إذا حاربوا إنما من أجل منع الفتنة ورفع الظلم المادي والمعنوي عن الجميع مسلمين وغيرهم، قال الله تعالى: "**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**" سورة الحج، الاية40.

وأكثر من ذلك حتى عندما يدخل المسلمون في حرب ضد أعدائهم وينتصرون عليهم فيرحمون بالأسرى ويعاملونهم معالمه حسنة ويطلقون سراحهم، والتاريخ الإسلامي مليء بالأمثلة الحية على ذلك.

فالتسامح مع غير المسلمين هو من صميم نظرة الإسلام وحضارته فلهم ما للمسمين وعليهم ما على المسلمين، وهم أحرار فيها يعتقدون ويدينون ويعبدون بل لهم العهد والأمان والحماية في كل شيء مقابل دفع مبلغ رمزي لخزينة الدولة التي هم فيها (الجزية)[1].

5 – الشمول:

تمتاز الحضارة العربية الإسلامية كما العقيدة الإسلامية بالشمولية أو التكامل أي أنها شملت كل الأشياء في هذا الكون وكل الأمور في الحياة البشرية، فالإسلام لم يترك شيئا من حياة الفرد والجماعة إلا ونظر فيه وشملها برعايته ووازن بين متطلبات حياته في الدنيا ومعاشه وبين ما تقتضيه الحياة الآخرة فوجهه إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته ليحظى بسعادة الدارين الأولى والآخرة[2].

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 79–80.

[2] – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص 75.

فهي حضارة لا تقبل التجزئة (اهتمت بهذا الكون وبكل ما فيه ووضحته ووضحت دوره) فمثل فيما يخص الإنسان نجد أنها اهتمت بكل جوانب حياته ونظمت كل أموره ولبت جميع حاجاته المادية والروحية.

فهي كل جزء لا يتجزأ، فمن الخطأ معالجة أو الاهتمام بجانب معين من جوانب حياته دون أخر، لأن ذلك يؤدي إلى شقاء هذا الإنسان وتعاسته والإضرار به، كما نجد في الحضارة الغربية الحديثة التي لم تسعد الإنسان رغم ما وصلت إليه من تقدم مادي كبير بل أدت إلى شقائه وبؤسه[1].

6 – التوازن:

هذه الخاصة تعني أن هذه الحضارة وزانت بين جميع الجوانب، ففيما يخص الإنسان دائما نجد أن الحضارة الإسلامية لم تهتم بالجنب الروحي للإنسان على حساب الجانب المادي أو العكس بل وازنت وجمعت بينهما، لأن طغيان جانب على أخر يضر الإنسان ويضر وجوده ونشاطه الحضاري.(لا إفراط ولا تفريط).

7- الوسطية:

وهي تعني الاعتدال والبعد عن الانحراف (فلا غلو مفرط ولا تقصير مجحف).

فوسيطة الحضارة الإسلامية مستمدة من وسطية الإسلام كمنهج وكنظام حياة ووسطية العقيدة الإسلامية الواقعة في الوسط بين ذلك الخرافي الذي يؤمن ويبالغ في الإيمان فيؤمن بكل شيء أمامه بلا دليل ولا برهان وبين ذلك المادي الذي ينكر ما وراء الحس يؤمن بالمادي فقط.

[1] – محاسنة محمد، **المرجع السابق الذكر**، ص 78.

8- **الإيجابية:**

ومن خصائصها أيضا خاصية الإيجابية الفاعلة المؤثرة فكما رأينا في أسسها لا يوجد إيمان هو مجرد مشاعر وأحاسيس داخلية لا ترجمة لها في واقع الحياة المعاش ممثلة في العبادة، كما لا توجد عبادة مجرد شعائر تعبدية وحركات بدنية ليس لها مدلول وليس معها عمل يكيف منهج الحياة كلها، إن في طبيعة الحضارة الإسلامية نفسها ما يدفع ويحفز الإنسان للقيام بالحركة الإيجابية وذلك لتحقيق منهج الله في صورة عملية الاستخلاف والعمران، فالإنسان قوة إيجابية فاعلة في هذا الكون، فهذا الإنسان مخلوق مستخلف مكلف من قبل خالقه لكي يعمر ويطور ويبني وينشر الصلاح الخير.

9- **التفاعل :**

لم تكن الحضارة العربية الإسلامية حضارة جامدة و لا حضارة متقوقعة على نفسها، و إنما كانت حضارة منفتحة متفاعلة مع جميع الحضارات المعاصرة و السابقة، تعطي و تأخذ، فاتصلت بالحضارية الهندية و الصينية و درس علماء العرب و المسلمين علوم الهنود و الصينيين فصححوا ما وجدوا عن هاتين الحضارتين و حدث مثل ذلك عند اتصالها بالحضارة اليونانية فصححوا بعض نظرياتهم و أضافوا إليها، بينما كان اتصالها بالحضارة الأوروبية المتخلفة في العصور الوسطى لتمنح لها مقومات التطور و الانطلاق، و نقل عنها علماء أوروبا نظريات و علوم بأكملها ليبنوا عليها ما أهلهم لكي يسبقوا العالم أجمع[1].

[1] – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص78.

المحور السابع: مظاهر الحضارة العربية الإسلامية

شكلت الحضارة العربية الإسلامية حضارة متكاملة الأبعاد، فمن خصائصها أنها حضارة شمولية اهتمت بجميع جوانب الحياة البشرية انطلاقا من شمولية الدين الإسلامي، ونظمتها وأطرتها بما يتوافق مع مبادئه وتعاليمه، فكانت حضارة متكاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وإداريا وعلميا، وقدمت إنجازات عظيمة في هذه الجوانب وغيرها خلال كل مراحلها، وشكلت مظاهر بارزة لهذه الحضارة.

أولا: المظهر السياسي

لكل دولة مبادئ وتعاليم في السياسة والإدارة والاقتصاد والاجتماع تصاغ في بدء نشأتها صياغة نظرية تستمد أساسها من تقاليد الأمة وتراثها الديني والفكري والاجتماعي وتسن قوانين تسمى نظم، والإسلام نظام كامل يشمل الدين والدولة معا، فقد انضوت نصوصه وتعاليمه على مبادئ أساسية في التشريع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري[1].

وفي هذا الصدد قال "**لويس غردية**" باقتناع وإعجاب "إن الإسلام دين، وأنه أيضا في تعاليمه الأساسية جماعة تحدد باسم الدين لكل عضو فيها دوره ولجميع أعضائها على السواء شروط الحياة وقواعدها، فالحياة العائلية والاجتماعية والسياسية والدينية المحضة، والمصلحة العاجلة في هذه الحياة، والنعيم المقيم لكل مؤمن بالحياة الآخرة مرسوم في وحدة كبرى يهيمن عليها الإسلام وينفخ فيها من روحه[2]."

ولنظام الحكم في الإسلام ست قواعد أساسية هي[3]:

1-الحاكمية لله.

2-السيادة للشرع.

3-السلطة للأمة.

---

[1]- صبحي صالح، **النظم الإسلامية: نشأتها وتطورها**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، ص55.

[2]- المرجع نفسه، ص56.

[3]- عاطف الزين، **نظام الإسلام: الحكم، الاقتصاد، الاجتماع**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989، ص49.

4-الخليفة الواحد فرض على المسلمين.

5-الحكم المركزي.

أما مكونات النظام السياسي فهي الخلافة أو الإمامة والتي تعني منصب رئاسة الدولة الإسلامية بمعناها العام، وقد بدأ ظهور الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتطورت الخلافة الإسلامية تبعا للتطور الحضاري للمجتمع العربي الإسلامي (خلال الفترة الأموية والعباسية والمغرب والأندلس) لكنها مع ذلك ظلت تحافظ على المبادئ الكبرى كالشورى وعلى تقاليدها التي أرسيت منذ عهد الخلفاء الراشدين، رغم تحولها إلى نظام ملك وراثي لأن تعاليم الشريعة الإسلامية هي التي كانت تحكمها باعتبارها مؤسسة دينية ودنيوية معا[1].

والوزارة التي تطلق على منصب هام يملك صاحبه سلطة واسعة على الجهاز الإداري للدولة، فالخليفة يقوى ويستند إلى وزيره[2]، وبذلك تعود البذور الأولى للوزارة في الإسلام إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يشاور أصحابه لاسيما **أبا بكر** لذلك سمي كثير من الناس (أبا بكر وزير النبي صلى الله عليه وسلم)، كما كان **عمر** وزير **لأبي بكر** غير أن الوزارة في هذا العهد امتازت بالبساطة، وبذات المفهوم كان خلفاء **بني أمية** وزراء فكان لابد للخليفة أن يستشير بعض ذوي الرأي ليحملوا عنه بعض الأعباء ولكنهم لم يصطلحوا على تسميتهم بالوزراء (مثلا زياد بن أبيه وزير معاوية بن أبي سفيان)، وظهرت الوزارة كوظيفة رسمية في الدولة في عهد **بني العباس** لتطور الدولة وجعل الفقهاء لمن يتقلدها شروطا وظهرت أيضا في بلاد المغرب والأندلس والخلافة العثمانية أين كان في البداية مستشار ثم تحول إلى منصب خطير حيث رفع السلطان **محمد الثاني الفاتح** (1445-1483م) مقامها فصار الوزير مطلق الصلاحيات ويسمى الصدر الأعظم ونائب السلطان وهي نوعان وزارة تفويض ووزارة تنفيذ.

---

[1]- إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص76.

[2]- محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص98.

ولاية العهد: هو نظام اتخذه **معاوية بن أبي سفيان** في الدولة الإسلامية، ولم يكن له وجود قبل ذلك حيث يقوم الخليفة باختيار رجل من المسلمين ويأخذ له البيعة من الناس ليتولى خلافة المسلمين بعد موته، وبذلك وضع حجر الأساس لإرساء النظام الوراثي في الحكم بدلا من مبدأ الشورى الذي كان أساس الاختيار عند المسلمين[1]، ويجب أن تتوفر فيه شروط، وكان لإعطاء ولاية العهد لأكثر من واحد في العصر العباسي أثر في إضعاف الخلافة العباسية، وظهور المنازعات بين أفراد الأسرة العباسية، وأصبحت تحاك المؤامرات والمكائد داخل قصور الخلافة، وفتح المجال للعناصر الأجنبية لتلعب دورها وتسيطر على الخلفاء، وفي سيطرتها على الحكم وانفصال الأقاليم، وفي القضاء على الخلاقة العباسية على يد المغول (التتار) سنة 1258م.

الحجابة: هي وظيفة تتضمن منع الناس من الدخول إلى الخليفة أو تنظيم مقابلة المراجعين للخليفة وترتيبهم في الدخول إليه لحماية الخليفة من الأخطار وتلافيا لازدحام الناس على الأبواب، فهي لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة فكانت منصبا رفيعا ثم تطور الأمر لتكون من المراتب العليا، فمن حصل على لقبها لا يتركه لأنهم يعدونه شرفا لهم، في عهد الخلفاء الراشدون لم يمنعوا أحدا من الدخول إليهم، وبدأت في العصر الأموي[2].

الكتابة: هي وظيفة يتولاها مجموعة من الكتاب الإداريين المساعدين للخليفة أو للأمراء والوزراء وهي من أهم الوظائف في الدولة، وبدأت في الظهور في الحضارة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان للنبي كتاب يكتبون الوحي منهم، ويحررون الرسائل التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسلها للملوك والأمراء[3].

وكان للخلفاء الراشدين أيضا كتاب، وتعدد الكتاب في العهد الأموي لتعدد مصالح الدولة وأصبح الكتاب خمسة (الرسائل، الخراج، الجند، الشرطة، القاضي)، وكان الخلفاء لا يولون

---

[1]– محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص94.

[2]– المرجع نفسه، ص104.

[3]– إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص85.

هذا المنصب إلا لأقربائهم وخاصتهم لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم، وظلوا على ذلك حتى أيام العباسيين، وحتى في بلاد المغرب والأندلس.

ثانيا: المظهر الإداري.

ظهرت بوادر التنظيم الإداري في الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان يرسل إلى القبائل التي تدخل في الإسلام من كان يفقهها في الدين ويعلمها أحكام القرآن الكريم، وهي اللبنة الأولى في التنظيم الإداري، وقد كان أيضا صلى الله عليه وسلم ينيب عنه بعض العمال والموظفين (النقباء) وكانت وظائفهم إقامة الصلاة وجمع أموال الزكاة.

ومن أشهر ولاة الرسول صلى الله عليه وسلم **عتاب بن أسيد** حيث استعمله على مكة المكرمة عند خروجه لغزوة حنين وجعل له درهما عن كل يوم وكان أول راتب مالي للعمل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما اختار عليه الصلاة والسلام رجال إدارته من الصحابة كل حسب مواهبه واستعداده وكان يزودهم بالتدريب الكافي والإرشادات التي تتفق مع تطور أنشطتهم واتساعها، وكانت القدرة على نشر الدعوة الإسلامية هي الأساس الأول للعمل الإداري وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، حمزة بن عبد المطلب، جعفر بن أبي طالب، عمار بن ياسر وغيرهم... وكان يحث رجاله أن يسلكوا أمثل السبل للإفادة من نشاطهم، وأن يتحلوا بالأمانة والإخلاص في العمل، وأن يعملوا لمصلحة الرعية متخذين من القرآن الكريم وتوجيهات المصطفى صلى الله عليه وسلم نبراسا يضيء لهم طريق العمل، ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم عند اختيار موظفيه مراعاة قدراتهم[1].

1-الإمارة على البلدان:

الإمارة اليوم معناها المملكة والدولة، ومنها الأمير الذي هو ابن الملك، وفي القديم الإمارة هي قيادة الجيوش أو ناحية من الدولة وصاحبها هو الأمير ويقابلها اليوم الولاية أو

1 – محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص113.

المحافظة أو المقاطعة وصاحبها الوالي أو المحافظ والأمراء هم الولاة على البلاد، والقضاء والصدقات والحج، وهي نوعان: عامة وخاصة، وبدورها الإمارة العامة تكون سلطة الأمير وشاملة ينظر في جميع الشؤون المتعلقة بالولاية تنقسم إلى نوعين هما:

- **إمارة استكفاء:** يختار الخليفة أحد رجاله الأكفاء ويفوض إليه إمارة الإقليم، ولا يرجع إليه إلا في الأمور الهامة، تعقد عن اختيار وتشمل على عقد عمل محدود ونظر معهود.
- **إمارة استيلاء:** تعقد عن اضطرار أي الأمير يستولي بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبير سياستها، ويكون الخليفة مضطرا لهذا التقليد لتغلب الأمير عليها.

أما الإمارة الخاصة وهي مقصورة على تدبير شؤون الجيش وليس من اختصاصها القضاء والأحكام وجباية الخراج والصدقات، وتوجد أيضا إمارة الجهاد، والأمير يتقاضى راتبا ماليا منذ الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، (انتشر في العصر الأموي).

وقد أقر **أبو بكر** عمال الرسول صلى الله عليه وسلم على وظائفهم وأعمالهم (**أبو عبيدة** على المال، **عمر بن الخطاب** للقضاء، **علي** لأمر الفتوى)، وفي خلافة عمر اتسعت البلاد التابعة للدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات (8 ولايات) وعين **عمر** على هذه الولايات ولاة يستمدون سلطتهم من الخليفة، ولكل منهم الحق في القيام بكل ما يراه مناسبا في أي مرفق من مرافق الحياة الدينية والدنيوية في ولايته، وغالبا ما يختار عمر عماله من العرب لمقدرتهم على فهم أصول الشريعة وتعاليمها، وسلك **عثمان** مسلك **عمر** في الإدارة، واهتم باختيارهم وتقديم النصائح لهم للعمل بالعدل والحق والإنصاف بين الرعية.

وفي خلافة **بني أمية** استمر الخلفاء في اختيار عمالهم وولاتهم من العرب وكان بعضهم يختارونهم من البيت المالك، وفي العصر العباسي حرص خلفاء **بني العباس** على اختيار ولاة الأقاليم ممن يثقون بهم وجعلوا سلطاتهم محدودة (عكس العصر الأموي) لا تتعد إمامة

[1]–إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 87–88.

المسلمين في الصلاة وقيادة الجيوش والدفاع عن الأقاليم وأوكلوا بعض المهمات الأخرى إلى موظفين آخرين خاصة الشؤون المالية والاقتصادية، إلا أن سيطرة الخلفاء على الولايات وولاتها لم تستمر في العصر العباسي الثاني حيث منح بعض الولاة سلطات واسعة في إدارة شؤونها الداخلية وأسندت إلى بعض الأمراء الأتراك صلاحيات واسعة في إدارة الولايات مما فسح المجال أمام المتنفذين إلى الاستقلال عن الخلافة العباسية[1].

2-الدواوين: الديوان كلمة فارسية معناها الدفتر أو السجل أو مجتمع الصحف، وأطلق اسم الديوان على المكان أو الدائرة التي تحفظ فيها الأوراق والسجلات، فالدواوين هي الدوائر الرسمية التي تكون مهمتها القيام بالأعمال الإدارية والإشراف على شؤون المال وهي تقابل الوزارات في الوقت الحاضر.

ووضعت أسس الدواوين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأول من وضع الديوان في الإسلام بشكل رسمي هو الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، (ديوان الجند) وعندما اتسعت الدولة في العهد الأموي احتاجت الحياة السياسية والاجتماعية إلى تنظيمات أخرى فأنشئت دواوين جديدة تنظم إدارتها وتتلاءم مع تطورها، وفي العصر العباسي كثرت الدواوين وتنوعت اختصاصاتها وجمعت الدواوين في دفاتر أو سجلات وكانت هناك عدة أنواع للدواوين منها: ديوان الجند (الجيش، العساكر، العطاء)، أول ديوان في الإسلام (المؤسسة العسكرية)، ديوان الخراج (الاستيفاء، أو الجباية)، ديوان الرسائل، ديوان البريد، ديوان المظالم، الصدقات، النفقات، الصوافي (الإشراف على الأراضي التي كانت تملكها الدولة[2]...

3-القضاء: هو منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع بالأحكام الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة على سبيل الإلزام، والقضاء يرتبط بوجود دولة ومؤسسات، وبدأ إرساء القضاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث تولى الرسول

[1]- محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص114-117.

[2]- إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص89.

صلى الله عليه وسلم القضاء والفصل في الخصومات بين المسلمين ثم بعض الصحابة، وكان يرسل قضاة إلى المناطق الأخرى.

وشهد العصر الأموي اهتمام خلفائهم بالقضاء وامتنعوا عن مباشرته بأنفسهم وعينوا قضاة بدلا عنهم، وصارت الأحكام تسجل منذ عهد الأموي وللقاضي أعوان يساعدونه في إتمام مهامه منهم الكاتب، الحاجب، الشرطة (لجلب المتهمين وتنفيذ الأحكام، الخازن لحفظ الدعاوي والسجلات، الترجمان، واختلفت رواتبهم من عصر لآخر[1].

4-الحسبة: وتعني اصطلاحا: الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، واكتسبت معنا عاما وهو الشرطة الموكلة إليها مراقبة الأسواق والآداب العامة وهي واسطة بين القضاء والمظالم، وهي وظيفة يتولاها مسؤول من قبل ولي الأمر، وهي واجب على عاتق المجتمع الإسلامي، وفي نفس الوقت نظام من النظم الإدارية الإسلامية ووظيفة للمحافظة على النظام العام ومراقبة ما يجري بين الناس من معاملات والفصل الفوري في المنازعات مما لا يدخل في اختصاص القاضي. (مراقبة الأسعار وضبطها، الغش، التزوير، الأطباء، المدارس، مساعدة الفقراء...).

تعود نشأتها لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان ينهى عن الغش ويقول: "من غش فليس منا"، وإلى عهد الخلفاء الراشدين (كان عمر يطوف بالأسواق..)، غير أن منصب الحسبة تعود نشأته إلى العهد العباسي أيام المهدي وتطور أيام المماليك، وفي الأندلس لمراقبة مرتكبي المخالفات ومعاقبتهم فورا، وفي بلاد المغرب الإسلامي ظلت من خصائص الولاة والأمراء أو من يولونه من قضاتهم[2]، وهو نظام إسلامي أصيل ليس مستجلبا أو مقتبسا. (ديوان المظالم هيئة قضائية عليا).

---

[1]- محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 135-139.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 108-109.

ثالثا: النظام الاقتصادي والاجتماعي

كان دخول المسلمين إلى المدينة المنورة هو أول فتح إسلامي وهو الذي أرسى حجر الأساس للدولة الإسلامية، وتمثلت أهم القواعد التي أقيم عليها الاقتصاد بجميع أنواعه في:

العمل: وهو أهم عنصر في المعادلة الحضارية، ولذلك أولاه القرآن أهمية خاصة "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبكم بما كنتم تعلمون" سورة التوبة –الآية 105–.

2– استغلال ثروات الأرض

3– الاستثمار وعدم الاحتكار

4– التعاون

5–الشراكة

2–الموارد المالية:

كانت إيرادات بيت مال المسلمين تتكون من الأموال التي تأخذها الدولة من[1]:

الخراج: ضريبة الأرض الزراعية يأخذ عن الأرض التي فتحها العرب ثم تركوها بيد أهلها لقاء خراج معين يؤدونه سنويا إلى بيت المال.

الجزية: هي ضريبة يدفعها أهل الذمة على رؤوسهم اعترافا بسيادة المسلمين ولقاء حمايتهم وحفظ حقوقهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية، وتأخذ من اليهود والنهار والمجوس والصائبة والسامرة مرة واحدة في السنة.

الغنائم: ما يكسبه المسلمون من أعدائهم في الحرب من أسرى وسبي وأراضي وأموال.

[1]–محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص196–202.

الفيء: وهي الأموال التي يحصل عليها المسلمون من أعدائهم صلحا من غير قتال أو ما ملكه المسلمون عفوا لانجلاء المشركين عنه.

الزكاة: وهي ما يؤخذ من أغنياء المسلمين ويوزع على فقرائهم.

3-نفقات الدولة الإسلامية:

كانت الدولة الإسلامية منذ نشأتها تهتم بأفراد الرعية اهتماما كبيرا لذا عملت على توفير مستلزمات العيش وتقديم الخدمات اللازمة لراحة المجتمع وأمنه وكانت تنفق الأموال التي تدخل إلى خزينة الدولة في الوجوه التالية:

-**أعطيات المسلمين:** كانت في خلافة عمر تشمل جميع فئات المجتمع بما في ذلك الأطفال والنساء ولم تكن ثابتة طوال العصور الإسلامية.

-**الرواتب والأرزاق:** التي كانت تدفع لموظفي الدولة كالوزراء، والولاة والقضاة والجند...

-**إعداد الجيوش للجهاد:** تزويدها بالمعدات والخيول والأسلحة...

-**إصلاح مرافق الدولة:** وتشمل تطهير الأنهار وإصلاح مجاريها، شق القنوات، إصلاح السدود..

-شق الطرق وتسويتها للمارة وإقامة الجسور.

-الإنفاق على الحرمين بمكة والمدينة.

-الإنفاق على العمران.

-الإنفاق على المساجين والأسرى ودفن الموتى.

-الهدايا والمنح للعلماء، الأدباء، الأمراء...

4-الزراعة:

اهتم المسلمون بالزراعة منذ بداية الدولة الإسلامية الأولى فدعا الرسول صلى الله عليه إلى العناية بالزراعة والغرس لقوله: " ما من مؤمن يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة "، فهذه دعوة للاعتناء بالأرض واستخراج خيراتها، ومنذ العصر الأموي وجهت الدولة الإسلامية جل عنايتها إلى الأعمال الزراعية فاهتمت بوسائل الري وإنشاء القنوات وبناء السدود واستخدمت طرق الري الصناعي بآلات بدائية...واتبع المسلمون الدورة الزراعية وهي إراحة الأرض موسما وزرعها موسما آخر، وعرفوا التسميد واستخدموا مختلف وسائل الزراعة كالمحراث وتفننوا في زراعة الفاكهة وأدخلوا إلى بلادهم الكثير من الأشجار المثمرة التي لم تكن معروفة من قبل، فأدخلوا البرتقال والليمون، وكانت العراق تشتهر بزراعة النخيل ولا تزال حتى اليوم أكثر بلاد العالم إنتاجا للتمور، وزرعوا في العراق الحنطة، الشعير،الأرز، القطن، الزيتون، كما زرعوا البطيخ، التين، العنب..والورود[1].

5-الصناعة:

بدأت عناية المسلمين بالحرف عموما في صدر الإسلام انطلاقا من صناعة الأسلحة والآلات العسكرية كالسيوف، الرماح، النبال، الدروع لحاجتهم إلى هذه الأسلحة، وصنعوا المنجنيق.

وتطورت الصناعات في العصور الإسلامية المتعاقبة تطور سريعا فعرفت في العصر الأموي مصانع التطريز (ديوان الطراز)، صناعة الملابس، وأثاث المنازل والحلي، وتطورت خلال العصور حتى ظهر التخصص (الموصل: صناعة الملابس، حران: صناعة الآلاف الفلكية، العراق: أدوات الزينة والنقوش والفخار..)، كما اشتهر المغرب ومصر بصناعة السفن (لتوفر الخشب)، والزيوت لتوفر الزيتون والورق والجلود والمعادن خاصة الحلي وأدوات الجراحة وصناعة الأدوية والعطور، حيث ساعد على ازدهار الصناعة وتقدمها توفر المواد الأولية اللازمة للصناعة في ولايات الدولة العربية الإسلامية كالثروة المعدنية...

[1]- محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 204-206.

وقد عرفت الصناعة تطورا كبيرا أدى إلى تنظيمها فنظمت أسواق أو أصناف (سوق النحاسين)، (سوق الدباغين)، سوق العطارين..وكان لكل حرفة نقابتها وشعارها..وقد شجع تطور الصناعة في البلاد الإسلامية العوامل التالية[1]:

- ❖ الاستقرار النسبي السياسي والاجتماعي.
- ❖ عدالة القوانين المستمدة من القرآن والسنة والأعراف.
- ❖ صرامة الأجهزة القضائية والحسبة والشرطة القوية.
- ❖ التقدم الحضاري عموما.
- ❖ وفرة اليد العاملة الماهرة.
- ❖ حب العمل (العمل عبادة).
- ❖ تطور التعليم خاصة المهني أو الحرفي.
- ❖ توفر المواد الأولية للصناعة.
- ❖ تحسن المعيشة وزيادة الطلب على المصنوعات.
- ❖ سعة المجال التجاري وتطوره.

6-التجارة:

مارس العرب الأعمال التجارية منذ زمن بعيد وقبل ظهور الإسلام، فكانت لهم رحلات تجارية إلى الشام واليمن ومناطق متعددة من العالم، وفي الإسلام تعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد عمل هو نفسه تاجرا إذ ذهب مع عمه إلى الشام ثم خرج بتجارة لخديجة، كما اشتغل أيضا خلفاؤه الأوائل فيها، وظلت التجارة تتنامى إلى أن ازدهرت في العصر العباسي بعد استقرار الوضع السياسي والاجتماعي، وبعد أن توسعت مساحة الدولة وأشرفت على بحار العالم واستخدم التجار كل الطرق والوسائل وتولت الدولة تأمين الطرق البرية والبحرية[2]، وبدؤوا بتنظيم قوافلهم التي كانت تجوب الولايات الإسلامية تنطلق إلى

[1]- إسماعيل سامعي، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 136-137.

[2]- المرجع نفسه، ص 138.

الشرق قاصدة الهند والصين وحرز المحيط الهندي أو إلى الغرب باتجاه الأسواق الأوروبية محملة بالبضائع من بلادهم أو من الشرق الأقصى[1]، (طريق الحرير إلى الصين، طريق الذهب أو العاج إلى إفريقيا، كما عرفوا الصكوك، والعقود التجارية، واستخدام الموانئ، واكتشف العرب المسلمون البوصلة، واسترشدوا بالنجوم والشمس والقمر..، فطوروا علم التنجيم والفلك، ونمت المؤسسات المصرفية...

وكانت الأسباب والعوامل التي ساعدت على نشاط التجارة في العالم الإسلامي[2]:

- ❖ اتساع مساحة البلاد الإسلامية حيث شملت البلاد الواقعة من الهند والصين شرقا إلى إسبانيا وجنوب فرنسا غربا، ومن الأناضول والقوقاز شمالا إلى المحيط الهندي، الصحراء الكبرى جنوبا.
- ❖ ازدهار الصناعة في البلاد الإسلامية وكثرة المنتجات الصناعية.
- ❖ كثرة الأموال والثروات نتيجة ازدياد مساحة الأراضي الزراعية وزيادة إنتاجها بعد الفتح العربي الإسلامي.
- ❖ تشجيع الإسلام للتجارة وحثه على السعي في طلب الرزق.
- ❖ ارتفاع مستوى المعيشة وحياة الرخاء في حواضر العالم الإسلامي.
- ❖ توحيد النقد الذي تم من خلال عمليات تعريب النقود زمن **عبد المالك بن مروان**.
- ❖ مبدأ السماح بالمشاركة بين المسلم والذمي في التجارة الذي أباحه الإسلام شريطة أن يحضر المسلم كل المعاملات التي يقوم بها شريكه.

النظام الاجتماعي

النظام الاجتماعي هو مجموعة الأحكام الشرعية التي تنظم علاقة الرجل بالمرأة، وما ينشأ عن اجتماعهما من حقوق وواجبات، ويهدف إلى تنظيم علاقات الأسرة وضبطها من أجل

[1]- محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص216.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 215-216.

استمرارها وبقائها حفاظا على قوة المجتمع وتماسكه لأن قوة المجتمع تعتمد على تماسك الأسر وتنظيمها[1].

ولما جاء الإسلام كان النظام السائد في شبه الجزيرة العربية آنذاك مبنى على القبيلة فألغى رابطة العصبية القبلية ذات الطابع التشتيتي في المجتمع الجاهلي وأحل محلها رابطة العقيدة[2]، محل رابطة الدم والقبيلة وأصبحت العقيدة الإسلامية هي أساس المجتمع، ووضع الإسلام مبادئ أساسية في التنظيم الاجتماعي تتضمن التنسيق بين قوى الحياة والأحياء وتورث الشعور بالطمأنينة والسلام، وحضي الفرد فيها بالعناية والاهتمام لأنه أهم عناصر المجتمع، المجتمع المتوازن يتكون من أفراد متوازنين يتمتعون بقدر من الاستقرار النفسي والروحي.

نظم الإسلام الأسرة من حيث العلاقة بين الزوجين، وعلاقة الآباء بالأبناء وروابط الأقارب، وفصل في الحقوق والواجبات، وتعرض للواجبات الأدبية والحقوق المادية، ونظم التوارث والعلاقة بين الأفراد ومسؤولية كل فرد من أفراد الأسرة، فأوجب نفقة الفقير على الغني في الأسرة، وجعل أساس الحقوق والواجبات هي المودة والرحمة والتواصل، ونظم العلاقة بين الجيران، واعتبر الجميع سواء لا فضل لأبيض على أسود، ولا لكبير على صغير، ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وهيئت الفرص لكل عامل في الدولة الإسلامية لمزاولة نشاطه حسب طاقته ومواهبه، وأستهدف الإسلام إيجاد التوازن في المجتمع بتوزيع التبعات على الجميع بالتساوي وتحقيق التكافل بين الفرد والجماعة، وعدم محاباة الفرد على حساب الجماعة أو الجماعة على حساب الفرد، وجعل لكل منهما مسؤوليات ومهام خاصة به "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وجعل للإنسان نصيب من الحرية، إلا أنه ربطها وقيدها بمصلحة الجماعة وقرر الإسلام المسؤولية الفردية صريحة لقوله تعالى:" كل نفس بما كسبت رهينة" سورة المدثر –الآية 38–، ومنح الإنسان وجوده المستقل حتى لا تنعدم

[1]– محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص 148.

[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

شخصيته أو تضيع، لكنه في الوقت نفسه دمج هذه المسؤولية بالمجتمع أي مسؤولية الفرد عن المجتمع ومسؤولية المجتمع عن الفرد وأساس هذه المسؤولية المشتركة عقيدة المسلم[1].

كما كانت للحضارة العربية الإسلامية مظاهر أخرى تبين رقي هذه الحضارة وتطورها ومن الجانب العسكري، الثقافي، والعلمي والعمراني والتي كانت على قدر كبير من الأصالة والتطور والازدهار، والتي شكلت فيما بعد تأثيرات ومنطلقات استفادت منها الحضارات الأخرى وانطلقت منها في بناء حضاراتها.

[1]– محمد محاسنة، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 175–176.

المحور الثامن: أسباب انهيار الحضارات

إن نشوء الحضارات وازدهارها ومن ثم أفوالها وسقوطها يخضع لقوانين يمكن القول إنها تنطبق على جميع الحضارات في أي في أي زمان ومكان، وبالتالي فمعرفة هذه العوامل والقوانين يساعد على تنبؤ بسقوطها وانحطاطها والدين الإسلامي بما أنه دين شامل فقد وضح بكل تفصيل الأسباب التي تؤدي إلى سقوط الحضارات.

أولا نظرة عامة لأسباب سقوط الحضارات

أولا يجب القول إن الحضارة لا تزدهر في سنة أو سنوات قليلة بل تحتاج لسنوات عديدة[1] لتفاعل عديد الأسباب أو الشروط والاقتصادية والجغرافية العلمية والدينية.... وكذلك الأمر بالنسبة للسقوط والانهيار.

إن ما يحصل لجميع الأمم من أحوال كالتقدم أو التأخر، الازدهار أو الانهيار لا يكون اعتباطيا أو صدفة بل يكون ذلك تبعا لقواعد وقوانين وسنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل تحكم هذا الكون من وضع الله العليم سبحانه وتعالى ذكرها القران الكريم من أجل الاستفادة منها والاتعاظ بها[2].

ولذلك فالقرآن الكريم في مواضيع كثيرة (أكثر من ثلث القرآن الكريم)، نجده يتحدث عن أحوال الأمم والأقوام والحضارات السابقة وما حدث لها مع ذكر أسباب ذلك أيضا (ما بالقصص القرآني)، والهدف من ذلك هو بطبيعة الحال الاتعاظ وأخذ العبر والدروس والاستفادة منها. (يهلك قوما، لماذا أهلكهم؟ من أجل أن نتعض ونبتعد عن المسبب)، ونجد في نهاية كل آية الدعوة إلى أخذ العبرة ... "**إن في ذلك لآية، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**" سورة الحشر –الآية 2–.

---

[1] – محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 126.

[2] – المرجع نفسه، نفس الصفحة.

فبصفة عامة فما يلحق ويحل بالشعوب والأمم والمجتمعات من تأخر أو تقدم هو عامل التغيير، يقول الله سبحانه و تعالى "***كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْن و الذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب، ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و إن الله سميع عليمَ ۙ كدأب آل فرعون وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ***" سورة الأنفال الآية 53-54.

و في تفسير هذه الآية أنها بيان لسنة عظيمة من سنين الله تعالى في نظام الاجتماع البشري، فقد اثبت الله سبحانه و تعالى للناس أن نعمه تعالى على الأقوام و الأمم منوطة (مربوطة و متعلقة) دوما و أبدا بأخلاق وصفات و عقائد و أعمال تقتضيها[1]، فبتوفر هذه العقائد و الصفات و الأخلاق و الأعمال كانت هذه النعم ثابتة بثباتها، و لم يكن الله سبحانه و تعالى يأخذها منهم بغير ظلم و لا ذنب فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد و الأخلاق و ما يترتب عنها من محاسن الأعمال غير الله عندئذ ما بأنفسهم و سلب نعتمه عليهم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

إذن فسقوط الحضارات و هلاك الأمم لا يكون اعتباطا و صدفة بل يكون ذلك بعد ممارسة هذا القوم أو الأمة لبعض الأفعال المسيئة أو المشينة من كفر أو ظلم، أو انحراف أو فساد أو طغيان ... و غيرها و بعد أن يعطوا الفرصة الكافية فتحق عليهم الكلمة فيدفعوا ثمن أفعالهم هذه، مثلما وضحت الآية السابقة، فأيا كانت النعمة و منها نعمة الحضارة، فهو لا يأخذها أخذا حتى يكفروا و يجحدوا بها أو يتكبروا أو يسلكوا سلوكيات منحرفة ، "ۖ **وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**" سورة البقرة الآية -211- ، والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة بل و يوضح أيضا أن ما يصيب الأمم و حتى الأفراد رغم طغيانهم و فسادهم من نعم و خيرات هو أمهال و استدراج حتى يمهلهم و لا يهملهم و

[1]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 127.

تتحسن أحوالهم المادية أكثر و نتيجة لذلك ينسون مهمتهم ولما خلقوا وقد ينسون حتى المنعم الله سبحانه وتعالى بل وأكثر من ذلك يرجعون ذلك لجهدهم وذكائهم ونجاحهم.

فتحسن الأحوال وتدفق النعم والخيرات إنما هو استدراج وإمهال من الله حتى إذا كانت العقوبة لم يفلتوا منها، وغالبا يكون الأخذ مباغتا ومفاجئا.

و القرآن الكريم يشير في مواضع كثيرة إلى القرى و الأمم التي ازدهرت ثم انهارت أو أهلكت وكل ذلك بسبب ما قدمت يداها من توافق أو تناقض مع السنن والقوانين الكونية التي وضعها الله، يقول سبحانه وتعالى ***وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ*** سورة النحل، الآية 112-113. (مصطلح قرية يعني أمة أو أمم).

إذا فالله سبحانه وتعالى لا يمنع نعمة عن أحد بل يوزعها على الجميع ويراقب تصرف الكل فيها فمن طغى وظلم وكفر واستعملها استعمالا سيئا فينزل به العقاب العادل في الوقت المناسب مثل مملكة سبأ.

وفي السنة قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما للرسول –ص- "أراك قد شبت يا رسول الله، فقال له الرسول ص "شيبتني هود وأخواتها" لأنها تتحدث عن أمم وأقوام عصت أوامر الله ورفضت هدايته واقترفت أنواع الانحرافات والسلوكيات السيئة وأفسدت، فحل بها عذاب مدمر كأن لم تكن، مثل أقوام نوح وعاد وثمود ولوط ومدين وفرعون وهامان وقارون ...غيرهم، كانت كلما أقواما وحضارات قائمة ولكنها سقطت وانهارت نتيجة لأفعالها وسلوكياتها السيئة، فالسبب المشترك لهذه الحضارات المسبب للانهيار هو العصيان ورفض الهداية مع الظلم والفساد والانحراف، ولكل أمة مظاهر الانحراف والفساد التي كانت بسبب الدمار والزوال (الظلم هو كلمة الجامعة لكل هذه لسلوكيات السيئة).

وقد جمع الدكتور يوسف القرضاوي ثماني أسباب لسقوط الحضارات ودمار الأمم وهلاكها:

1. الغرور بالقوة المادية والاستكبار
2. الجحود بآيات الله وعصيان رسله
3. إتباع الظالمين وطاعة المسرفين
4. الظلم والبغي بغير حق
5. إتباع الفواحش والغرق في الشهوات
6. انتشار الفساد والانحراف في الأرض
7. جحود نعم الله خاصة عمليا باستخدامها في المعاصي
8. الترف والبطر

ورأى أن كل واحدة من هذه الأسباب جديرة بأن تؤدي لانهيار الحضارات والأمم فماذا لو اجتمعت كلها (مثل الحضارة الغربية).

و إذا كان مفسرو تاريخ الحضارات في الغرب يصرون على حتمية سقوط الحضارات و يرون بأنها تمر بدورة مثل الحياة الإنسان، فإن الإسلام تحدث عن قانون و سنة التداول بين الحضارات و الأمم، فالقيادة و السيادة و الحضارة تتداول بين المجتمعات و الأمم، فإذا ضعفت لأسباب معينة تتسلمها غيرها و هكذا لكل واحدة نصيب منها، فالحضارة ليست ملكا لأحد و باستطاعة الجميع أن يتطلع إليها، كما باستطاعة أي أمة أن تأمل بالصعود حتى و إن كانت بالأسفل لا أحد يمنع جهدها و لا حتمية تصدها أو تقف في طريقها، فالصعود ليس أبديا و حتميا و كذلك السقوط و لكن العامل الذي يتحكم في ذلك هو عامل التغيير سواء في الهبوط "**ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** الأنفال 53. والصعود والازدهار(**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ**)الرعد 11.

إذن فحال المجتمعات والأمم يتراوح بين النجاح والفشل بين الصعود والهبوط بين التقدم والانحطاط، لكن من غير حتمية أبدا وإنما اعتمادا على قاعدتي التغيير والتداول الذي يقع بين الأمم والمجتمعات إن صعود أو هبوطا بعيدا عن المغالطات والتضليلات الغربية، و هي أن بعض الأمم لا تصلح للتحضر حتى و لو توفرت جميع الأسباب.

المحور التاسع: عوامل انهيار الحضارة العربية الإسلامية

إن انهيار الحضارة وسقوطها حسب المنظور الإسلامي، كما قيامها وازدهارها لا يكون بسبب عامل واحد، بل يجب أن تتجمع مجموعة من الأسباب وتتفاعل مع بعضها بما يؤدي إلى انهيار هذه الحضارة هي الأخيرة خلال فترة زمنية معتبرة.

وتتمثل أسباب السقوط فيما يلي[1]:

أولا: الفساد السياسي.

يتمثل الفساد السياسي في تولي أقلية من الأفراد هرم السلطة والحكم يجمعون الترف الفاضح والفسق المدمر، وهم في الحقيقة عبارة عن مجموعة من اللصوص والمجرمين والطغاة[2]، يقول عز وجل: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" سورة الإسراء –الآية 16–.

فالترف هو التنعم بالأموال والخدم والراحة مما يؤدي إلى ضعف النفوس وفسقها وتعفنها مما يؤدي إلى الفساد في الأرض، وإشاعة المحرمات ضعف الأمة وفقدان حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، وبالتالي انهيارها، وهو ما يقول به أيضا **ابن خلدون** حيث تسقط الحضارة لما يبلغ الترف غايته واستبداد الحاكم واستكانة الرعية. –أن يتحكم بالسلطة من ليس له أهل لها–.

ويعرَف الفساد السياسي أيضا بكونه سوء استخدام السلطة السياسية لغير خدمة الشعب وتحقيق رفاهيته وتنميته وتحقيق العدل والحرية، بل التحكم في السلطة السياسية وتحقيق الأهداف الخاصة للجماعة الحاكمة أو الشخص الحاكم، هذه الفئة أو الحاكم الفرد (المترف)، يعملون على بقاء الأحوال والأمور على حالها من تحكم بالرعية وغياب للحرية، والترف والسيطرة على الموارد الاقتصادية، بل ويمنحون لأنفسهم صلاحيات وحقوقا مطلقة اتجاه

[1]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 136–145.

[2]– المرجع نفسه، ص136.

الشعب، مثلما فعل فرعون، "قال آمنتم له قبل أن آذن لكم" سورة طه –الآية 71–، وأيضا قوله تعالى: " ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" سورة غافر –الآية 25–، وهناك فرعون لكل عصر[1].

ففي الوقت الحالي نلاحظ أن أي حاكم يصل إلى السلطة يقوم بعودة إجراءات من أجل تقوية مركزه وإعطاء لنفسه من الصلاحيات والسلطات خاصة المهمة والحساسة كتعديل الدساتير والقوانين على مقاس الحاكم، إضعاف المعارضة، سن قوانين التحكم في كل دواليب الدولة والعمل السياسي كقانون الانتخابات، الأحزاب السياسية، الإعلام، الجمعيات....، وبالتالي يجعلون الشعب الحلقة الأضعف بتحكمهم فيه.

والأخطر في ذلك أيضا أنها كلما تعسف الحاكم وظلم وطغى وأستبد، وأفسد وأترف، امتد الفساد إلى من تحته وهكذا حتى يعم الفساد المجتمع كله [2]، وذلك لغياب العدل والقانون في جميع الممارسات والمعاملات لتحصيل الحقوق وقضاء الحوائج، وبذلك تنتشر جميع أشكال الفساد على جميع المستويات من رشوة، محسوبية غش، شراء الذمم،...، وتصبح هي السائدة في المجتمع، كما أن النظام السياسي أو الحاكم المستبد يعمل على بقاء هذه الأحوال دون تغيير أو تبديل لأن ذلك يضمن له بقاءه وسيطرته واستبداده.

ففي ظل الفساد السياسي يحكم من ليس أهلا للحكم والرئاسة وتضيع الحقوق وتذهب الموارد لغير مستحقيها وتهدر، يزول العدل، تنتشر الممارسات الفاسدة البالية، تنتفي مهمة خدمة الشعب ورفع شأن الدولة، فتضعف وتتفكك وتنهار، وإذا تأملنا في هذا السبب نجده السبب الرئيسي لكل الأسباب الأخرى المؤدية لانهيار الأمة أو الحضارة، وإذا تأملنا أيضا تاريخ الحضارة العربية الإسلامية نجد أن ضعفت شوكتها دائما بضعف الحاكم أو الخليفة والعكس.

---

[1]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص137.

[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة.

ومن جهة أخرى فالتخلف والفساد السياسي الذي تعرفه معظم الدول العربية حاليا يعتبر السبب الرئيسي لتخلف هذه الأخيرة والأوضاع التي تعرفها.

ثانيا: الفساد الاقتصادي

يعتبر التطور الاقتصادي والرفاه شرطا ضروريا من شروط قيام الحضارات وتطورها، ذلك لأنه يمكن كل الأفراد من إشباع مختلف حاجياتهم مما يمكنهم من التطور والنمو والإبداع المادي والمعنوي، فالاقتصاد المزدهر يعد مقوما من مقومات الحضارة وعمود من أعمدتها تبنى به، ولكن في نفس الوقت يعد الفساد الاقتصادي هادما للحضارة.

يقول الله سبحانه وتعالى: " وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط، ويا قوم أوفوا المكيال بالقسط والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تعتوا في الأرض مفسدين" سورة هود –الآية 84-85-.

فالوفاء بالكيل والوزن بالقسط والعدل، يعني الاستقامة والعدل في مرافق الحياة كلها ونشر العدل بين الناس.

فبالنسبة للمجال الاقتصادي يبدأ الفساد بغياب العدل في توزيع الثروة وانقسام المجتمع إلى فئة قليلة مترفة ومتخمة وفئة كثيرة العدد فقيرة ومعدمة، حيث يصبح المال حكرا على الفئة القليلة العدد تتصرف فيه كيف تشاء دون حسيب ولا رقيب ويحرم الأغلبية من الانتفاع به كما يقول تعالى: "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"، سورة الحشر –الآية7-، أي يتداولونه بينهم فقط"، والأخطر من ذلك أن تكون الثروة والمال العام في أيدي الحكام المترفين الفاسدين أي يختلط المال بالسلطة، أو كما يقال " الثروة توصل إلى السلطة والسلطة توصل إلى الثروة[1]".

[1]–محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص138.

فالخلل في توزيع الثروة والمال العام، فإذا أترف الحكام أو حكم المترفون عن طريق استغلال المنصب وأفسدوا وظلموا حق عليهم وعلى دولتهم الخراب والدمار، لأن هذا الترف يولد في نفس أصحابه الطغيان والتعالي والاستكبار، "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا" سورة الإسراء –الآية 16–.

كما أن هؤلاء الحكام المترفين يرفضون كل دعوة للتغيير والإصلاح خشية فقدان ما في أيديهم من أموال وسلطان ومزايا بغير حق (مثال على ذلك القذافي، بشار الأسد، السيسي في مصر...)، لذا يجب على المصلحين وكل أفراد الشعب الوقوف ضد الفساد ومنعه والحد من استفحاله لأن الدمار والهلاك سيحل شكل الأمة والحضارة، لأن من سنن الله سبحانه وتعالى وعدله أن يهلك الأمم والحضارات بفسادها وعلى رأس هذا الفساد، الفساد الاقتصادي والترف الفاحش بما يمثله من خلل في ميزان توزيع الثورة والتلاعب بأموال العامة[1]، ونهبها والاستيلاء عليها بغير وجه حق للفئة الحاكمة وحاشيتها من الانتهازيين والطفيليين...وجميع الممارسات الاقتصادية والنشاطات غير المشروعة كالربا و المضاربة...

ثالثا: الفساد الاجتماعي

مثلما ذكرنا سابقا يعتبر الالتزام بالقيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية من العوامل الأساسية لتطور وازدهار الحضارة أي الجانب المعنوي والروحي للحضارة الذي يعطيها الدفعة القوية للانطلاق نحو الأعلى على حد تعبير **مالك بن نبي**، فالجانب الأخلاقي والقيمي والديني يطيل عمر الحضارة ويقويها ويذهب شبح السقوط عنها، وعلى العكس من ذلك فالانحلال الخلقي واضمحلال القيم واندثار المبادئ يؤدي إلى تفكك الحضارة وانحطاطها وضعفها وسقوطها في النهاية.

في هذا الصدد يقول الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون (**Costav Lebon**) "إذا بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع لانهيار الأمم وجدنا العامل الأساسي في سقوطها هو تغير

[1]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص140.

مزاجها النفسي الذي نشأ عن انحطاط أخلاقها، ولست أرى أمة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها[1]".

ولنا في هذا الصدد نظرية الحضارة عند **مالك بن بني** الذي عندما تحكم عن مراحل الحضارة أو دورة الحضارة، جعل ضعفها يبدأ لغياب العامل الديني (مركب الحضارة) الذي يسمح للحضارة وللإنسانية أن تنهض وتتقدم.

فمرحلة الأفول والسقوط تكون بسيطرة الغزيرة على الروح وتحررها تماما وهنا تتغلب الطبائع الإنسانية السيئة على الفرد والمجتمع وتصبح العلامة المميزة لهذه المرحلة هو التفسخ والانحلال الخلقي وشيوع الفواحش والمنكرات...وعند بلوغ هذا التحرر أقصاه تكون الحضارة في بداية أفولها ونهاية دورة الحضارة.

و كما يقول أمير الشعراء أيضا **أحمد شوقي:**

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول أيضا:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم لهم مأتما وعويلا

فتدني الأخلاق والقيم الحميدة وانتشار التفسخ والانحلال وإباحة المحظورات وانتشار الفواحش والمنكرات كلها أمراض اجتماعية خطيرة تنخر المجتمع وتؤدي لانهيار حضارته.

رابعا: الظلم والاستكبار والطغيان.

يعتبر الظلم من الأسباب الأساسية لزوال الحضارات، وتاريخ الأمم والحضارات يؤكد ذلك، فما من حضارة أو دولة كانت ظالمة وبقيت طويلا.

فالظلم إذا انتشر ولم ينكره أحد أو يمنعه أحد حسب استطاعته ومقدرته فعندئذ ينزل العقاب ليس على الظالمين أنفسهم على الجميع بدون استثناء يقول تعالى: "واتقوا فتنة لا

[1]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص141.

تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، وأعلموا أن الله شديد العقاب" سورة الأنفال –الآية 24–، لذلك حث الإسلام على رفض كل أنواع وأشكال الظلم ومحاربته، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل بل ودعا أيضا إلى الهجرة والابتعاد عن البلد أو الأماكن التي ينتشر فيها الظلم ليس هروبا بل استنكارا وابتعادا خاصة عند العجز عن مقاومته[1]، فالظلم بكل أنواعه وأشكاله ومستوياته وبما يؤديه إلى نتائج كارثية في المجتمعات تؤدي وتعجل في سقوطها بفساد عمرانها وخرابه لدرجة أن الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم (بمعنى طول مدة المكث والاستقرار).

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، وهو أيضا "مجاوزة الحق"، وهو مفهوم واسع، وقال الحكماء أن الظلم ثلاثة أنواع: ظلم بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق لذلك قال تعالى: "إن الشرك لظلم عظيم" سورة لقمان –الآية 13–، والثاني ظلم بينه وبين الناس، وهو ما قصده الله بقوله: "وإنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم عذاب أليم" سورة الشورى –الآية 42–، والثالث ظلم بينه وبين نفسه "فمنهم ظالم لنفسه"[2] سورة فاطر –الآية 32–، وكلها ظلم للنفس، والقرآن الكريم مليء بقصص الحضارات السابقة التي أهلكت بسبب ظلمها "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد"، سورة الحج –الآية 45–، "إنه لا يفلح الظالمون" سورة الأنعام –الآية 21–، وهذه سنة الله تعالى في خلقه وقانونه الثابت في انهيار الحضارات وأفول نجمها.

أما بالنسبة **للاستكبار**:

مما لا شك فيه أن القوة رمز من رموز ازدهار الحضارة وهي مطلب من مطالبها أيضا، فالحضارة القوية هي التي تستطيع أن تحمي نفسها من الأعداء، كما أن قوة النظام السياسي

---

[1]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص142.

[2]– عمار توفيق احمد بدوي، **المرجع سابق الذكر**، ص119.

في الحضارة أيضا عامل من عوامل نهضتها، ولكن القوة قد تتحول إلى أحد عوامل انهيار الحضارة.

فالاعتداد بالقوة لدرجة الغرور والاستكبار والاستعلاء في الأرض يعد عاملا لزوال الحضارة.

فالقوة ما لم تهتد بهدى الإيمان بالله تعالى فإنها تتحول إلى طغيان واستكبار يشقي الحضارة وينزل السخط عليها.

والتجربة الحضارية في التاريخ البشري تعطينا أمثلة عن ذلك حيث كان الانهيار بسبب القوة الطاغية المستكبرة في حضارة قوم عاد التي تعد مثلا للحضارة القوية المزدهرة " ألم ترى كيف فعل ربك بعاد أرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في العباد" سورة الفجر –الآية 6، 8–.

يقول تعالى: "فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة، أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، وكانوا بآياتنا يجحدون، فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات، لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهو لا ينصرون" سورة فصلت، الآية 15–16، تحولت قوتهم إلى طغيان وبطش وعدوان وظلم، وكذلك فرعون باستكباره وطغيانه، قارون..

فسنة الله تعالى النافذة أن العلو والاستكبار والطغيان والاستبداد هي طرق لإبادة الحضارة وتسريع زوالها والوصل بها إلى النهاية الوخيمة.

خامسا: تمزق الأمة وتفرقها (الفرقة)

نتيجة للأسباب السابقة يؤدي ذلك إلى التمزق الداخلي وفقدان الوحدة والقوة، لتتحول الأمة إلى جماعات متناحرة[1]ومتصارعة ومتناقضة الأهداف بما يؤذي إلى تشتت المجتمع وضعفه،

[1]– محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص145.

يقول سبحانه وتعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" سورة الأنفال –الآية 46–، أي قوتكم.

كما قام المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي **Arnauld Twemby** في كتابه "مختصر دراسة التاريخ" بذكر أسباب انهيار الحضارات وذكر سببا هاما وهو فقدان الوحدة الاجتماعية في المجتمع.

فوحدة الأمة والمجتمع عامل أساسي في تماسك المجتمع وقوته وقدرته على مجابهة الأخطار الخارجية، فالقوى الخارجية في العصر الحالي أصبحت تعمل على نشر الطائفية والعرقية والإثنية لتقسيم وتفتيت المجتمعات ومن ثم سهولة اختراقها والتدخل فيها كما هو حال العديد من المجتمعات العربية التي تعاني من انقسام مجتمعاتها إلى بناء على عوامل عرقية، دينية، أثنية، طائفية...

المحور العاشر: شروط عودة الحضارة العربية الإسلامية.

إن الملاحظ اليوم أن غالبية دول العالم الإسلامي (الذي يمكن أن يمثل الحضارة الإسلامية) قد باتت تعاني من التخلف والضعف والتراجع في مختلف مجالات الحياة، مما يطرح قضية النهوض بهذه الأمة الإسلامية والعودة بها إلى أيام ازدهارها ورقيها، وإعادة بناء الحضارة الإسلامية.

إن عودة الحضارة الإسلامية لن يكون بالعمل السهل، بل هو سبيل مليء بالعقبات والعراقيل والصعوبات العديدة والمتعددة في ظل عالم أصبح يسوده قانون المصلحة قبل كل شيء، وبكل الوسائل الممكنة المشروعة وغير المشروعة، وبالتالي فعودة الإسلام وحضارة الإسلام إلى مجدها يتطلب مجهودات، وتضحيات جسام من كل أبناء هذه الحضارة للخروج بها من دائرة الفساد والتخلف والانحطاط والتبعية...

إن عودة الإسلام وحضارته ليست بالمهمة المستحيلة، ولكنها عمل صعب وضخم في حاجة إلى جهود جبارة وتضحيات مضاعفة هو في حاجة إلى حماس فياض في الإيمان وجرأة كبيرة في مواجهة العقبات في حاجة إلى تضحية بالغالي والنفيس[1]، فقانون الله الثابت في هذا الصدد هو قانون التغيير، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وكما يقول **مالك بني نبي** في كتابه "شروط النهضة"، غير نفسك، تغير التاريخ"، وعليه فالحضارة العربية الإسلامية يجب أن تبدأ بتغيير نفسها من الداخل بالتخلي أو محاربة كل ما يسود بها من فساد وآفات وأمراض مستفحلة على جميع المستويات وفي جميع المجالات والاهتمام بالقضايا الهامة والكبرى في المجتمع كالتربية، والعمل والجد، والبناء، والرقي والعلم وغيرها، أي الأخذ بشروط النهضة والقوة والتمكين والعزة التي وضحها الله سبحانه وتعالى ودعا إلى الأخذ بها.

[1]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 195-196.

وتتمثل هذه الشروط في[1]:

1-وجود الرغبة والإرادة للأمة الإسلامية: إن الوصول لأي هدف، وإقامة أي مشروع ينطلق أساسا من وجود الإرادة القوية والعزيمة الصارمة للمضي في هذا المشروع وتجسيده على أرض الواقع، فما بالك إذا تعلق الأمر بمشروع حضاري وتجديد يتعلق بالثقافة والأفكار والقيم لبناء حضارة قوية، فلابد من توفر أو وجود إرادة سياسية حقيقية لديها الرغبة الملحة والنية الصادقة للعمل وتوفير جميع الشروط اللازمة للنهضة الحضارية.

إن توفر الإرادة السياسية يعتبر الشروط الضروري الأساسي، والأول الذي يجب توفره، وذلك لإمكانية تحقيق الشروط الأخرى، فهي المنطلق الأساسي لعملية التحول والانطلاق في بناء المسيرة الحضارية.

2-القضاء على الانقسام والتفرقة في الأمة: يعتبر الانقسام والفرقة والتفكك لأي سبب كان أحد أهم الأسباب لضعف الأمة وتراجعها وشتات قواها، عليه فالنهضة الحضارية لهذه الأمة تقتضي أن تقضي على هذا الانقسام والتفكك وعلى كل الأسباب المؤدية إليه، وأن تشكل كيانا موحدا قويا قادرا على مجابهة مختلف القوى المعادية والأخطار الخارجي المتربصة، لأنه كما يقال في الإتحاد قوة وفي التفرقة ضعف، ويقول الله سبحانه وتعالى: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون" سورة المؤمنون –الآية 52–، ويقول أيضا: " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" سورة الأنفال –الآية46–.

وما يعرفه العالم اليوم من تكتلات واتحادات بين مختلف الدول (كالإتحاد الأوروبي)، والمنظمات والهيئات لدليل على هذا العامل (الوحدة من أجل القوة والقدرة على مواجهة القوى الأخرى وتحقيق السيطرة و الريادة، بينما عامل التفكك والفرقة يولد الضعف والوهن).

وعليه فجدير بالأمة الإسلامية الأخذ بهذا المبدأ والعمل به لأنه يعتبر من مبادئ الدين الإسلامي وأهدافه، وذلك بين مختلف الدول الإسلامية في كل أصقاع العالم لكي تشكل تكتل

[1]– محمد سعيد رمضان البوطي، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ط3، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1988، ص160، وما بعدها.

عالميا قويا سياسيا واقتصاديا وحضاريا يؤثر في العالم ككل ويستطيع مواجهة كل أخطاره المحيطة به، وليس أن تصبح أغلبية الدول الإسلامية دول مقسمة مفككة إلى أقاليم وجماعات على أسس عرقية، دينية، طائفية، سياسية... وتصبح مسرحا للتصارع والتنافس بينها ما شتت وحدتها وأذهب قوتها وأصدر مواردها وصارت لقمة صائغة للقوة الخارجية المتحكمة فيها.

فلو توحدت الدول الإسلامية التي تقارب الخمسين دولة، بما تملكه من موارد خاصة بشرية بأكثر من مليار ونصف مسلم وبما تملكه أيضا من مقومات النجاح والتفوق والقوة في دينها وعقيدتها وأخلاقها ومواردها... لتمكنت من الخروج من تبعيتها وتحقيق التفوق الحضاري بها.

3-القضاء على التخلف والوهن: ومن شروط النهضة الحضارية أيضا للأمة الإسلامية القضاء على التخلف الرهيب الذي باتت تعيشه دولها ومجتمعاتها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية والثقافية والاجتماعية والعلمية...، فالتخلف يعتبر سببا رئيسيا من أسباب الانحطاط والتراجع لأي حضارة من الحضارات ومظهرا من مظاهر هذا الانحطاط في نفس الوقت.

وإن الخروج من هذه الوضعية ليس بالأمر السهل أو الهين بل هو من الصعوبة والتعقيد بما كان، بما يتطلب أن تجند كل أفراد وفئات المجتمع وكل طاقاته وإمكاناته المادية والبشرية والفكرية... لتحقيق النهضة والتنمية، أي يبدأ بالإنسان نفسه وما يعرف بالتنمية البشرية والتي تتضمن تنمية مختلف قدراته وطاقاته ومهاراته الفنية والسلوكية والأخلاقية والفكرية...مما ينعكس في أداء مختلف نشاطاته وأدواره الاجتماعية والاقتصادية...، فمحاربة التخلف تبدأ بمحاربة التخلف الفكري والقضاء على الأفكار السلبية والذهنيات البالية والعقليات المتحجرة ونشر الوعي والأفكار الحية المستنيرة (على حد تعبير مالك بن بني) وبناء ثقافة إيجابية في المجتمع تنعكس في سلوكيات فعالة إيجابية بناءة لهذا المجتمع.

أما في المجال السياسي فمحاربة الفساد والتخلف تكون بمقاومة الاستبداد والطغيان والظلم أي الفساد السياسي والعمل على ترسيخ دعائم الشورى والعدل وحماية حقوق الإنسان وحرياته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح، ووضع الدساتير والقوانين التي توضح وتكرس الحقوق والواجبات والفصل بين السلطات وتحقيق العدل وتكريس دولة القانون والمؤسسات[1].

في المجال الاقتصادي العمل على زيادة الإنتاج الصناعي، الزراعي، الخدماتي، تطوير التجارة، تنظيم الاستهلاك والأسواق، تحري العدالة الاجتماعية في الثروة، والقضاء على جميع الممارسات الاقتصادية الفاسدة والسلوكيات غير المشروعة كالتبذير، الربا، الرشوة...

وفي المجال الاجتماعي، العمل على ترسيخ الأخلاق الإسلامية الإنسانية السامية في جميع جوانب الحياة البشرية والقضاء على مختلف الأمراض والآفات الاجتماعية، الفواحش، والمنكرات...الهدامة للمجتمعات والحضارات وبناء مجتمع سوي في فكره وثقافته وعاداته وتقاليده وسلوكياته وأخلاقه ودينه وعقيدته انطلاقا من عقيدة الدين الإسلامي ومبادئه وأوامره ونواهيه، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما علميا ومعرفيا فالنهضة الحضارية تتطلب الاهتمام الكبير بالعلوم وتطويرها وتخصيص أضخم الميزانيات للتعليم العالي والبحث العلمي والابتكار والاختراع، فالعلم اليوم هو السلاح القوي المؤدي للتفوق والسيطرة، والحضارة الإسلامية في أزهى عصورها تميزت بالتقدم العلمي وكثرة العلماء والاهتمام بهم.

4-ضرورة وجود وقيام قيادة مسلمة: أي ضرورة وجود قيادة مسلمة قادرة على توجيه الشعوب أو الأفراد بما تملكه من قدرات وقوى روحية معنوية ومادية نحو الانطلاق في بناء حضارتهم الإسلامية قيادة تختارها الأمة بنفسها بكل حرية دون قهر أو إكراه تكون رشيدة

[1]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص200.

حكيمة واقعية ملتزمة بالإسلام قولا وعملا مسؤولة أمام الله والأمة، تجتمع عليها القلوب وتطمئن إليها[1].

إن مشكل القيادة اليوم يعد من أهم المشاكل التي تواجه دول وشعوب الأمة الإسلامية، حيث أن النجاح وتحقيق الأهداف مرهون دائما بوجود قائد حقيقي يوجه التابعين نحو الهدف الأسمى مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم قائد البشرية مع أصحابه، وبعده الخلفاء الراشدون أين وجهوا جهود الأمة نحو الصلاح والخير والفلاح.

وعليه فلابد من وجود قيادة تحمل على عاتقها مسألة النهضة الحضارية للأمة وتؤمن بها، وتتحدى كل العقبات والصعاب في سبيل تحقيقها وتصر بثبات وثقة وإيمان بالله بالوصول إليه قيادة ملتزمة بالإسلام تسعى بكل إخلاص وقوة إلى تجسيده على أرض الواقع وتحقيق مبادئه وعدله وصدقه وسماحته، فلا بد من وجود قيادة تكون أسوة عملية ونموذجا حيا يقتدي به كل أفراد المجتمع، وتعمل على تربية النشء والأجيال تربية إسلامية صحيحة.

وبالتالي فوجود القيادة يعتبر أمرا ضروري وشرطا لازما لدورها الكبير في التأثير في سلوك الآخرين وتوحيد وتوجيه جهودهم الوجهة الصحيحة.

5-الأخذ بالمشروع الحضاري والتمسك به: حيث يجب على الأمة الإسلامية أن يكون لها مشروع حضاري تتمسك به وتعمل على تحقيقه على أرض الواقع، ذلك المشروع القائم على الإسلام الحقيقي (كما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه وطبقه الصحابة وجعله منهجا لمواجهة جميع مشكلات الحياة وحلها والاهتداء به وتطبيق مبادئه وتعاليمه في جميع المجالات) أساسا وهدفا له جاعلة نظام حياتها وفقه في جميع المجالات، بداية من التمسك بأخلاقه وقيمه لمحاربة الانحلال والتفسخ والفساد، وأن تبتعد عن جميع ما يتعارض معه من قوانين وتشريعات وعادات وأفكار وممارسات حتى تحصل خيره.

[1]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 204.

ففي المجال السياسي مثلا يجب أن تكون الشريعة الإسلامية هي الدستور والقانون الأساسي للأمة، وفي المجال الاقتصادي يجب أن يقوم النظام الاقتصادي على أساس العدالة الاجتماعية والمساواة بعيدا عن المفاسد الرأسمالية كالربا، الاحتكار، وقس على ذلك جميع المجالات الأخرى في الحياة الاجتماعية، التربوية، الأخلاقية...[1] ، إذن فلابد من العودة للإسلام كله، بأن تكون تعاليمه هي الموجه لكل مجالات الحياة ونشاطاتها وأن تكون القائدة لكل مؤسسات وقطاعات المجتمع لأن تعاليم الإسلام كل لا يتجزأ، في عقائده وتصوراته وشعائره وعباداته وأفكاره ومشاعره، أخلاقه، تعاملاته، قيمه وآدابه وتقاليده وسلوكاته، قوانينه وتشريعاته، فهي كلها أسس المجتمع السليم الذي لا يقوم إلا بها، فإذا نقص واحد منها كان هناك خلل في المجتمع المسلم[2].

6-التخلص والتحرر من ضغط الواقع وثقله: وهو شرط آخر لعودة الإسلام وعودة حضارته، وهو يتمثل في إحداث القطيعة مع مظاهر الحياة التي تتنافى مع الشريعة الإسلام ومبادئه ومنها انتشار الربا، الاحتكار في المؤسسات الاقتصادية والمالية، شيوع المحرمات في كل مكان، الرشوة، القمار، الزنا والخلاعة، العري، الصور الخليعة...اللهو المحرم والمفاسد والمهلكات، سيطرة القوانين والتشريعات الغربية المنافية للإسلام في معظم مجالات الحياة في المجتمعات الإسلامية (الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية، الإعلامية...) هذه المظاهر الضاغطة[3].

وهذا الواقع المناقض لمبادئ الإسلام يعتبر نتيجة التخلف والانحطاط التي توصلت إليه هذه الأمة بسبب بعدها عن الإسلام وإتباعها للغرب (المغلوب مولع بتقليد الغالب) كما يقول **ابن خلدون** والقابلية للاستعمار حسب **مالك بن نبي**[4].

---

[1]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص ص 206-207.

[2]- محمد الغزالي، **الإسلام والطاقات المعطلة**، الجزائر: الزيتونة للإعلام والنشر، 1987، ص ص 213.

[3]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص 202.

[4]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وهذا الواقع الضاغط والثقيل على الأمة الإسلامية بمؤسساته ومنكراته ومحرماته المنتشرة هو من صنع الغرب لذا وجب التحرر والتخلص من هذه التبعية العمياء للحضارة والفكر الغربيين (أوروبا وأمريكا)، فللغرب دينه وفكره وقيمه وتراثه وللأمة الإسلامية دينها الذي لا يجب أن تنسلخ عنه وتراثها وفكرها وقيمها النابعة من عقيدتها وهي ليست مجبرة أن تسير وراء هذا الغرب، فللغرب قوانينه وأنظمته المختلفة القائمة على فلسفته في الحياة ونظرته إلى الوجود وإلى الله وإلى الإنسان وفكرته عن الدين والدنيا، وهو في كل ذلك مخالف ومناقض لفلسفة ونظرة الإسلام لكل هذا الأمور، خاصة وأن للأمة الإسلامية مشروع حضاري أحسن بكثير مما لدى الغرب[1]. (الاستفادة من الأمور الإيجابية والانتفاع بها، والحذف والإضافة والتعديل حسب الظروف والمعطيات حتى تتلاءم مع قيم الإسلام وتعاليمه وتنسجم مع أوضاع المسلمين، ورد الأمور السلبية والأعراض عنها وإنكارها..)، وأخيرا يمكن القول بما قال به رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

على الأمة الإسلامية أن تغير ما بها إلى الأحسن والأفضل فيغير الله ما بها تبعا للقانون الإلهي الذي لا يتبدل ولا يتغير"، "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"، ويتحقق وعد الله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفه أمنا يعبدوني ولا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" سورة النور الآية55.

"ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز" سورة الحج، -الآية 40-.

[1]- محمد مجدان، **المرجع سابق الذكر**، ص203.

قائمة المراجع:

1 – المعجم الوسيط، **معجم اللغة العربية.**

2 – لسان العرب، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر ، ج4.

3 – البوطي محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ط3، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1988.

4 – الرحيم عبد الحسين مهدي، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، طرابلس، الجامعة المفتوحة 1995.

5 – الزين عاطف، **نظام الإسلام: الحكم، الإقتصاد، الإجتماع**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989.

6 – الغزالي محمد، **الإسلام والطاقات المعطلة**، الجزائر: الزيتونة للإعلام والنشر، 1987.

7 – بن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، بيروت: دار الجبل، د.ت.ن.

8 – بدوي عمار توفيق أحمد، **مقومات الحضارة و عوامل أفوالها من منظور و القران الكريم**، رسالة ماجيستر غير منشورة، تخصص أصول الدين، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2005.

9 – بطاينة محمد ضيف الله، **في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، د.د.ن.، 2010.

10 – بوزياني فاطمة الزهراء بوزياني، **مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي و ابن خلدون**، مذكرة ماستر في الدارسات المقارنة، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، 2011-2012.

11 – توينبي أرنولد، **مختصر دراسة التاريخ**، ج1،

12 – صبحي صالح، **النظم الإسلامية: نشأتها وتطورها**، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980.

13 – سامعي إسماعيل، **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

14 – محاسنة محمد، **الحضارة الإسلامية : مدخل معمق**، ط1، الأردن: مركز يزيد للنشر، 2005.

15 – مجدان محمد، **مكانة الحضارة الإسلامية عالميا – دراسة مقارنة مستقبلية** –، الجزائر ، دار المواهب للنشر و التوزيع، 2015.

16 – شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية و موجز عن الحضارات السابقة**، دمشق: دار الفكر، 2002.